الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١١٨ — ٧ أكتوبر سنة ١٩٣٥ — السنة الثالثة

3 me Année, No. 118. — Lundi-7-10-1935

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١١٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ رجب سنة ١٣٥٤ — ٧ أكتوبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

المَثَنَّى بن حارثة

على ذكر « نادى المثنى » ببغداد

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

كانت قبائل ربيعة ضاربة شرقىّ نجد ، موغلة إلى الشمال حتى أعالى الفرات . . وكانت الوقائع تثور بينهم و بين الفرس فى الحين بعد الحين ، فكانوا أجرأ العرب على فارس ، وكان العرب يسمون فارس الأسَد ، فسموا ربيعة « ربيعة الأسد »

وكان بنو شيبان من هامات ربيعة فى الجاهلية ، وهم كانوا أبطال « ذى قار » ، وامتد بهم المجد فى الاسلام فكان منهم بيوتات لها فى الحرب والمكارم مآثر . يقول أبو تمام :

أُولاك بنو الأفضال لولا فعالهم ... دَرجن فلم يوجد لمكرمة عقب

لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد ... وحيد من الأشباه ليس له صحب

به علمت صُهب الأعاجم أنه ... به أعربت عن ذات أنفسها العُرب

هو المشهد الفرد الذى ما نجا به
لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صُلْب

— ٢ —

وقد امتدت أحقاد ذى قار بين الفرس وبنى شيبان خاصة، وقبائل بكر عامة؛ حتى كان بنو شيبان طلائع الفتح الاسلامىّ فى العراق: لما عمّ الاسلام الجزيرة وتوطد سلطانه سمع أبو بكر بوقائع سيد من شيبان فى سواد العراق فقال: من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ قال قيس بن عاصم المنقرى: « هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد؛ هذا المُثَنَّى بن حارثة الشيبانى »

ثم قدم المثنى على أبى بكر يسأله أن يؤمره على قومه ففعل. وكان المثنى من قبل على قومه أميراً، وبقى من بعدُ أميراً يستعينه الأمراء إذا حضروا، ويستخلفونه إذا غابوا، حتى مات بين مآثر مشكورة، ومناقب محمودة. وقد صدق عمر حين سماه: « مؤمّر نفسه »

وبعث المثنى أخاه مسعوداً إلى الخليفة يستمده فأرسل خالداً إلى العراق؛ فلما نزل خالد النِّباج كتب إلى المثنى وهو معسكر بخفّان ليأتيه، وبعث إليه بكتاب من أبى بكر يأمره بطاعته. قال الطبرى: « فانقضّ إليه جواداً حتى لحق به ». فانظر إلى الرجولة كيف تسارع إلى الطاعة!

ولما توجه خالد إلى الشام استبد المثنى بإمرة العراق، وكان بطل موقعة بابل وفيها قَتل الفيل

قال الفرزدق يعدد بيوتات بكر:

وبيت المثنى قاتلِ الفيل عَنوة ببابل إذ فى فارسٍ مُلك بابل

ثم سار المثنى إلى أبى بكر ليخبره بجليّة الأمر فى العراق، فوافاه مريضاً قد أشفى، فأوصى أبو بكر عمر قال: « فان أنا مت فلا تمسينّ حتى تندب الناس مع المثنى. » وسار الناس إلى العراق وأميرهم أبو عبيد الثقفى. فلما كانت موقعة الجسر التى زُلزل فيها المسلمون وقُطع جسر الفرات وراءهم فتهافتوا فى الماء وقف المثنى فى أنجاد من العرب ينادى: « أيها الناس! إنّا دونكم فاعبروا على هينتكم، ولا تدهشوا، فانا لن نزايل حتى نراكم فى ذلك الجانب ». وحمى المثنى الناس حتى عبروا. ثم خلق المثنى من الفلول المهزومة يوم الجسر نصراً باهراً فى موقعة البُوَيب برأيه وسياسته وشجاعته، واحتسب فيها أخاه مسعودا؛ ثم تكاثر الفرس عليه فكتب إلى عمر، فأمره أن يتنحّى بالناس حتى يأتيه أمره. ثم أرسل عمر سعد بن أبى وقاص فى حشد عظيم، وانحاز المثنى إلى ذى قار. وقدم سعد إلى زَرود ينتظر المثنى، ولكن الأسد المرزّأ، والمِسْعَر المجرّب، انتقضت به جراحات يوم الجسر. فبينما سعد يرجو مقدمه جاءته وصيته تحملها امرأته سلمى وأخوه المعنّى. عمل سعد بوصية المثنى وأمّر أخاه مكانه، ثم تزوج امرأته. وقد شهدت سلمى وقعة القادسية، فلما حمى الوطيس؛ واستكلب الموت على الأبطال، نظرت فلم تجد المثنى يسوس الأنجاد، ويقود الجلاد، فصاحت: « وامثنّياه! ولا مثنى اليوم للخيل ». مات المثنى وشهد له التاريخ أنه « كان شهماً شجاعاً ميمون النقيبة حسن الرأى. أبلى فى حروب العراق بلاء لم يُبله أحد »

— ٣ —

فيا شباب بغداد الذين أنشأوا نادى المثنى ليحيوا ذكره! اذكروا فيه الرجولة الكاملة، والشجاعة البالغة، والمجد والسؤدد، والعمل المخلّد. اذكروه قائداً مقداماً، وأميراً حازماً، وسيداً مطاعاً، وجندياً مطيعاً. اذكروه حراً أبيّا، ومثلا عربيّا، وخُلقاً عالياً. واستمدوا من ذكراه وذكرى أمثاله أخلاقاً صلبة تقيكم رخاوة الحضارة، وعزيمة ماضية ترفعكم عن ذلة الرفاهية، وتقتحم بكم الأهوال إلى الغاية البعيدة والأمل العظيم. ثم اذكروا أن المثنى فتح العراق جندياً مُسْلماً، فاذكروا الاسلام ومجده، واعتصموا بأخلاقه، واستمسكوا بمعاليه. وسيروا قُدُماً فى عزة العروبة، وهداية الاسلام، وأنتم الأعلون والله معكم؟

عبد الوهاب عزام

٣ـ الجمال البائس

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال الراوي :

نظرتُ إليها ونظرتْ . أما هي ، فرَنتْ إليَّ في سكون ، وكانت نظرتها معاتَبةً طويلة فيها التملُّقُ والتوجُّع ، وفيها الانكسارُ والفُتور ، وفيها الاسترخاءُ والدلال

وبينا كان طَرْفُها ساجياً فاتراً كأنه ينظرُ أحلامَه ، إذْ حدَّدته إليَّ فجأةً ونظرتْ نظرةَ مدهوش ، فبدتْ عيناها فزعتين ولكن في وجهٍ مطمئنّ

ثم لم تكدْ تفعل حتى ضيَّقتْ أجفانها وحدَّقت النظرَ متلألئاً بمعانيه ، فبدت عيناها ضاحكتين ولكن في وجهٍ متألم

ثم ابتسمتْ بوجهها وعينيها معاً ، وأتمتْ بذلك أجملَ أساليب المرأةِ الجميلة المحبوبة في اعتراضها على من تحبه ، وجدالها مع فكره ، وكَسْر حُجته في كبريائه ، وانتزاع الفكرة المستقلّةِ من نفسه

وأما أنا ؛ فكانَ نظرى إليها ساكناً متألماً يُقِرُّ أنه عجزٌ عن جواب عينيها ، وسيبقى عاجزاً عن جواب عينيها . . . .

إن وجهها هو الابتسامُ ورُوحُ الابتسام ، وجسمها هو الاغراءُ وروحُ الاغراء ، وفنها هو الفتنةُ ورُوحُ الفتنة ، وهي بهذا كلّه ، هي الحبُّ وروحُ الحبّ . غير أن فهمها على حقيقتها في الناس يجعلُ ابتسامها عداوةً من وجهها ، وإغراءها جريمةَ لجسمها ، وفنها رذيلةً في جمالها ، وهي بهذا كله ، هي الشقاءُ وروحُ الشقاء

***

أمَّا إني أحبُّ فنَعَمْ ونعِمَّا ، بل أراه حباً فالقاً كَبدي ، وليس يخلو فؤادي أبداً من سوالف حُب مضى ؛ وأما إني أستَرْذِلُ في الحب وأمتهن فضيلتي وأزِلُ بها — فلا وأبدا

إن ذلك الحب هو عندي عملٌ فنيٌّ من أعمال النفس ، ولكن الفضيلةَ هي النفسُ ذاتها ؛ والحبُّ أيامٌ جميلةٌ عابرةٌ في زمني ، أما الفضيلةُ فهي زمني كله ؛ وذلك الجمالُ هو قوة من جاذبيـة الأرض في مدتها القصيرة ، ولكن الفضيلةَ جاذبيةُ السماء في خلودها الأبدي

على أنه لا مُنافرةَ بين الحب والفضيلة في رأيي ، فان أقوى الحب وأملأه بفلسفة الفرح والحزن لا يكون إلا في النفس الفاضلة المتورعة عن مُقَارَفَةِ الاثم . وههنا يتحول الحبُّ إلى ملَكةٍ سامية في إدراك معاني الجمال ، فيكون الوجهُ المعشوقُ مصدرَ وحي للنفس العاشقة . وبهذا الوحي والاستمداد منه ينزل الحبُّ من المحبوب منزلةَ من يرتفع بالآدميَّة إلى الملائكية (١) ليتلقى النورَ منها فناً بعد فن ، والفرح معنى بعد معنى ، والحزن السماويّ فضيلةً بعد فضيلة

فهذا الحبُّ هو طريقةٌ نفسيّةٌ لاتساع بعض العقول المهيّأة للالهام كي تُحيط بأفراح الحياة وأحزانها ، فتُبدعَ للدنيا صورةً من صور التعبير الجميلة التي تُثير أشواق النفس . كأن كلَّ محب وحبيبته من هؤلاء الملهمين ، هما صورةٌ جديدةٌ من آدمَ وحواء ، في حالةٍ جديدة من معنى ترك الجنة ، لايجاد الصورة الجديدة من الفرح الأرضي والحزن السماوي

والخطَرُ في الحب ألا يكونَ فيه خطر . . . . فهو حينئذ نداءُ الجنس ، لا يكون إلا دنيئاً ساقطاً مبذولاً فلا قيمةَ له ولا وحي فيه ، إذ يكون احتيالاً من عمل الغريزة جاءت فيه لابسةً ثوبَها النورانيَّ من شوق الروح لتخدعَ النفسَ الأخرى فيتصلَ بينهما ، حتى إذا اتصل بينهما خلعت الغريزةُ هذا الثوب واستعلنتْ أنها الغريزةُ فانحصر الحبُّ في حيوانيته وبطلت أشواقه الخيالية أجمع

***

قال الراوي : وعرفت الحسناءُ هذا كله من عرضها نظرةً وتلقّيها نظرةً غيرها ، فقالت للأستاذ (ح) : أما أن يكون مع أثر الشعر والفكر في الجمال ودعوى الحب أثرُ الزهد في الجسم الجميل وادّعاء الفضيلة — فانَّ بعيداً أن يجتمعا

قال (ح) : وأين تُبعدينه ويحك عن هذه المنزلة ؟ إني لأعرف من هو أعجبُ من هذا

قالت : وماذا بقي من العجب فتعرفَه ؟

(١) نحن لا ننسب للملائكة إلا على خلاف القاعدة المقررة في علم الصرف ونرى أن مخالفته هي القاعدة في هذه اللفظة

قال: أعرف رجلاً متزوجاً أحبَّ أشدَّ الحب وأمضَّه حتى استهام وتدلّه، فكان مع هذا لا يكتب رسالةً إلى حبيبته حتى يستأذنَ فيها زوجتَه كيلا يعتدىَ على شيء من حقها. وزوجته كانت أعرفَ بقلبه وبحب هـذا القلب، وهي كانت أعلمَ أن حبّـه وسُلوانَه إنما هما طريقتان في الأخذ والترك بين قلبه وبين المعاني، تارةً من سبيل المرأة وجمالها، وتارة من سبيل الطبيعة ومحاسنها

فتنهّدتْ وقالت: يا عجباً! وفي الدنيا مثلُ هـذا الزوج الطاهر، وفي الدنيا مثلُ هذه الزوجة الكريمة؟

ثم إنها وجَمَتْ هُنيهةً تجتمع في نفسها اجتماعَ السحابة، ثم استدمعتْ، ثم أرسلتْ عينيها تبكي. فبدَرْتُ أنا أرَفّه عنهـا حتى كفكفتْ من دمعها، وكأن (ح) قد وخزَها في قلبها وخزة أليمة بذكره لها الزوجة، ثم الزوجةَ الطاهرة، ثم الطاهرةَ حتى في وسوسة شيطان الغَيرة. ارتفع ثلاثَ مرات بالزوجة، لترى هذه المسكينة أنها سافلة ثلاث مرات، وكأنه بهذا لم يكلمها بل رسم لها صورتَها في عينها المُخزي وقال لها: انظري . . . . .

* * *

ويا ما كان أجملَها يترَقرَقُ الدمعُ في عينيها الفاتنتـين الكحيلتين فيبُثُّ منهما حزناً يخيَّل لمن رآه، أنه من أجلها سيُحزِنُ الوجودَ كله

ليس البكاءُ من هاتين العينين بكاءً عند من يراه إذا كان من العاشقين، بل هو فنُّ الحزن يضع مجالاً جديداً في فن الُحسن. وأكاد أعجبُ كيف وجد الدمعُ مكاناً بين المعاني الضاحكة في وجهها — لو لم يكن هذا الدمعُ قد جاء ليظهرَ على وجهها الفنَّ الآخر من جمال المعاني الباكية

* * *

وسألتها: ما الذي خامَرَ قلبَك من كلام الأستاذ (ح) فأبكاكِ، وأنت كما أرى يتألّقُ النورُ على جدران المكان الذي تحُلّين به، فيظهر المكان وكأنه يضحك لك؟

فتشكّكتْ لحظةً ثم قالت: أبِكَ ما تقول أم أنت تتهكم بي؟

قلت: كيف يخطر لك هذا وأنا أحترم فيك ثلاث حقائق: الجمال، والحب، والألم الانساني؟

قالت: لا تثريبَ عليك [١]، ولكن صوِّر لي ببلاغتك كيف أحببتك وأنت غير مُتَحبّب الي، وكيف جادلتُ نفسي فيك وداورتُها عنك، وكلما عزمتُ انحلَّ عزمي؟ فهذا ما لا أكاد أعرف كيف وقع، ولكنه وقع. هذه قطرة من الماء الصافي العذب فضع عليها (المكرسكوب) يا سيدي وقل لي ماذا ترى؟

قلت: إنكِ تُخرجين من السؤال سؤالاً. فما الذي خامر قلبك من كلام (ح) فبكيتِ له؟

قالت: إذن فليست هي قطرةً من الماء بل تلك دمعةٌ من دموعي، فضع عليها المكرسكوب يا سيدي.

قال الراوي: وكانت حزينةً كأنها لم تسكت عن البكاء إلا بوجهها وبقيت روحُها تبكي في داخلها. فأراد الأستاذ (ح) أن يستدركَ لغلطته الأولى فقال: إنكِ الآن تسألينه حقاً من حقوقك عليه، فكل امرأة يحبها هي عروسُ قلبه ولها على هذا القلب حقُّ النفَقة . . . . . .

فضحكت نوعاً ظريفاً من الضحك الفاتر كأنما ابتكره ثغرها الجميل لساعة حزنها، ونظرت الي. فقلت: إن كان الأمر من نفقة العروس على القلب فما أشبه هذا (بلا شيء) جحا

فضحكت أظرفَ من قبل، وخُيِّل اليَّ أن ثغرها انطبق بعد افترارِه على قُبلةٍ أفلتت منه فأمسكها من آخرها . . .

ثم قالت: ما هو (لا شيء) جحا؟

قلت: زعموا أن جحا ذهب يحتطبُ، وحمل فوق ما يُطيق، فبَهَظَه الحِمْلُ وبلغ به المشقّة، ثم رأى في طريقه رجلاً أبلهَ فاستعان به، فقال الرجل: كم تعطيني إذا أنا حملتُ عنك؟ قال: أعطيك (لا شيء). قال: رضيت

ثم حمل الأبلهُ وانطلق معه حتى بلغا الدار، فقال: أعطني أجري: قال جحا: لقد أخذته. واختلفا، هذا يقول أعطني، وهذا يقول أخذتَ؛ فلَبَّبَهُ الرجلُ [٢] ومضى يرفعه إلى القاضي، وكانت بالقاضي لُوثَةٌ وعلى وجهه رَوْأةُ الُحمق [٣]

(١) أي لا عتب عليك (٢) أخذ بتلابيبه

(٣) اللوثة بضم اللام مس من الجنون، وتكون أيضاً بمعنى الحمق، وروأة الحمق علاماته وهي معروفة في علم الفراسة

تخبرك عنه قبل أن يخبرك عن نفسه . فلما سمع الدعوى قال لجحا : أنت فى الحبس أو تعطيه (اللاشىء) . . .

قال جحا فى نفسه : لقد احتجتُ لعقلى بين هذين الأبلهين ؛ ثم انه أدخل يده فى جيبه وأخرجها مُطبَقة ، وقال للرجل : تقدَّمْ وافتح يدى . فتقدم وفتحها . قال جحا : ماذا فيها ؟ قال الرجل : (لاشىء)

فقال له جحا : خذ (لا شيئك) وامض فقد برئت ذمتى

قالوا : فذهب الرجل يحتجُّ ، فقال له القاضى : مهْ ؟ أنت أقررتَ أنك رأيتَ فى يده (لا شىء) وهو أجرك ؛ نخذه ولا تطمع فى أزيدَ من حقك . . .

***

وضحكت وضحكنا ، ثم قالت : أنا راضيةٌ أن أكون عروسَ القلم ، فليُجْرِ علىَّ القلمُ نفقتى ، وليصوِّرْ لى كيف أحببتُ ، وكيف آمرتُ نفسى وجادلتُها ؟

قلت : لا أتكلم عنك أنت ولا أستطيعه . بيد أننى لوصنفتُ روايةً يكون فيها هذا الموقفُ — لوضعتُ على لسان العاشقة هذا الكلامَ تحدِّث به نفسها

تقول : كيف كنتُ وكيف صرت . لقد رأيتُنى أعاشر مائةَ رجل فأخالطُهم فى شتى أحوالهم وأصرِّفهم فى هواىَ وكلهم يجهدُ جُهدَه فى استمالتى ، وكلهم أهلُ مودّةٍ وبذْل ، وما منهم إلا جميلٌ مخلصٌ قد أنِقَ وتجمَّل وراع حسنُه كأنما هرب إلىَّ فى ثياب عرسه ليلةَ زفافه وترك من أجلى عروساً تبكى وتصيح بوَيلها . ثم أنا مع ذلك مُغْلَقةُ القلب دونهم جميعاً أصدُقُهم المودّةَ والصُّحبةَ ، وأكذِبهم الحبَّ والهوى ؛ فلستُ أُحبهم إلا بما أنال منهم ولستُ أُحبِّبُ اليهم إلا ما أُنوِّلهم منى ، وهم بين عقلى وحيلتى رجالٌ لا عقول لهم ، وأنا بين أهوائهم وحماقاتهم امرأةٌ لا ذات لها

ثم أرى بغتةً رجلاً فرداً فلا أكاد أنظر اليه وينظر إلى حتى يضعَ فى قلبى مسئلةً تحتاج إلى الحلّ . . .

وأرتاعُ لذلك فأحاول تناسيَه والاغضاءَ عنه ، فتلجُّ المسئلةُ فى طلب حلها وتشغلُ خاطرى وتتمدّد فى قلبى وهو هو المسئلة . . .

فأفزع لذلك وأهتمُّ له وأجهدُ جهدى أن أكون مرة حازمةً بصيرةً كرجال المال فى حق الثروة عليهم ، ومرةً قاسيةً عنيدة كرجال الحرب فى واجبها عندهم ، ومرة خبيثة منكرة كرجال السياسة فى عملها بهم ؛ ولكنى أرى المسئلة تلين لى وتتشكل معى وتحتمل هذه الوجوهَ كلَّها لتبقى حيث هى فى قلبى فانه هو هو المسئلة . . .

وأغتمُّ لذلك غماً شديداً وأرانى سأسقط بعد سقوطى الأول وأقبحَ منه ، إذ الحياةُ عندنا قائمةٌ بالخداع وهذا يُفسده الاخلاص ؛ وبالمكر وهذا يعطّله الوفاء ، وبالنسيان وهذا يبطله الحب . وإذ عواطفُنا كلها متجرِّدةٌ لغرض واحد هو كسبُ المال وجمعُه وادّخارُه ، وفضيلتُنا عمليةٌ لا تتخيل ، حسابيّة لا تختلُّ ، فيستوى عندنا الرجلُ بلغ جماله القمرَ فى سمائه ، والرجلُ بلغت دمامتُه الذبابَ فى أقذاره ؛ والحبُّ معنا هو كم فى كم ويبقى ماذا . . . أو كما يقول أهل السياسة هو « النقطة العملية فى المسئلة » . ولكن المسئلة التى فى قلبى لا ترى هذا حلاً لها ، لأنه هو هو المسئلة . . .

فيزيدُ بى الكربُ ، ويشتد على البلاء وأحتالُ لقلبى ، وأدبِّر فى خنقه وأذهبُ أُقنعه أن الرجل إذا كان شريفاً لم يحب المرأةَ الساقطةَ إذ يُعاب بصحبتها والاختلاف إليها ، فاذا كان ساقطاً لم تحبه هى ، فانما هو صيدُها وفريستُها وموضعُ نقمتها من هذا الجنس ، وأُسرفُ على قلبى فى الملامة والتعذيل فأقول له : ويحك يا قلبى ! إن المرأة منا إذا تفتّح قلبها لحبيبٍ تفتّح كالجرح لِيَنزِف دماءَه لا غير ، فيقتنع القلب ويُجمِعُ على أن ينسى وأن يرجعَ عن طلبه الحب ؛ وأرى المسئلة قد بطلت وكان بُطلانُها أحسنَ حلٍّ لها ، وأنامُ وادعةً مطمئنة ، فيأتى هو فى نومى ويدخل فى قلبى ويُعيد المسئلة إلى وضعها الأول فما أستيقظ إلا رأيته هو هو المسئلة . . . .

فأتناهَى فى الخوف على نفسى من هذا الحب وأراه سجنَها وعقابَها ، وقهرَها وإذلالَها ، فأقول لها : ويلكِ يا نفسى ! إنما همُّكِ فى الحياة وسائلُ الفوز والغلَب ، فأنت بهذا عدوّةٌ مسماةٌ فى غفلة الرجال صديقة ، وقد وُضعتِ فى موضع تعيشين فيه باهاناتٍ من الرجال يسمونها فى نذالتهم بالحب . فأنت عدوّةُ الرجال بمعنى من الدّهاء والخبث ، وعدوّةُ الزوجات بمعنى من

الحقد والضغينة ، وعدوّة البغايا أيضاً بمعنى من المغالبة والمنافسة ، وكلُّ ما يستطيع الدهاءُ أن يعمله فهو الذى علىَّ أنا أن أعمله ، فماذا أصنع وأنا أحب ؟ وكيف أنجح وأنا أحب ؟ ولكن النفس تجيبني على كل هذا بأن هذا كلَّه بعيدٌ عن المسئلة مادام هو هو المسئلة . .

* * *

قال الراوى : وكانت كالذاهلة مما سمعت ، ثم قالت : ألك شيطانٌ فى قلبى ؟ فهذا كله هو الذى حدث فى سبعة أيام

قال (ح) : ولكن كيف يقع هذا الحب . وهَبْك صنفت تلك الروايةَ ووضعتَ على لسان العاشقة ذلك الكلام ، فماذا كنت تنطقها فى وصف حبها ، وما اجتذبها من رجل فاز بقلبها ولم يُداورْها ، بعد مائة رجلٍ كلُّهم داوَرَها ولم يفز منهم أحد . أتكون فى وجه هذا الرجل أنوار كتباشير الصبح تدلُّ على النهار الكامن فيه ؟

قالت هى : نعم نعم . بماذا كنت تنطقها ؟

قلت : كنت أضع فى لسانها هذا الكلامَ تجيبُ به عاذلةً تعذُلها :

تقول : لا أدرى كيف أحببته ، ولكنَّ هذه الشخصيةَ البارزةَ منه جذبتني اليه ، وجعلت الهواء فيما بيني وبينه مُفعَماً بالمغناطيس مصدرُه هو ، ومعناه هو ، ولا شىء فيه إلا هو

عرَضَته لى شخصيتُه ظاهراً لأن جواب شخصيته فىَّ ، وأصبح فى عيني كبيراً لأن جوابَ شخصيتى فيه ، ومن ذلك صارت أفكارى نفسها تزيده كلَّ يوم ظهوراً وتزيدنى كل يوم بَصرا ، وأعطاه حقَّه فى الكمال عندى حقَّه فى الحب مني ؛ وبتلك الشخصية التى جوابها فى نفسى أصبح ضرورةً من ضروراتِ نفسى

* * *

قال الراوى :

ولما رأيتها فى جوِّ نسيمه وعاصفته ، أردتها على قصَّتها وشأنِها ، فماذا قلت لها وماذا قالت ؟

(فى العدد القادم بقيتها) مصطفى صادق الرافعى

(طنطا)

إلى الأديبة و . س بدمشق : أما بعد الشكر للأديبة الفاضلة فأنت فى الشكوى والموضوع يعتذر . . . . وسيلتهى إليك كتابى الرافعى

افتتاح إفريقيـــة

وكيف غزاها الاستعمار الأوربى

بقلم مؤرخ كبير

ليست المشكلة الايطالية الحبشية التى تكدر اليوم سلام العالم سوى نفثة جديدة من نفثات الاستعمار الغربى ، وطموح أمة أوربية قوية إلى غزو أمة إفريقية ضعيفة تزخر أرضها بالثروات الطبيعية الدفينة التى مافتئت تحفز الاستعمار إلى الغزو والتغلب ، وإلى اجتياح الأمم الضعيفة الآمنــة ؛ فهى ليست بذلك مشكلة دولية بالمعنى المعروف ، وإنما هى محاولة أوربيــة جديدة لاجتياح آخر أرض فى إفريقية استطاعت أن تنجو حتى اليوم من عدوان الاستعمار

كانت القارة الافريقية منذ قرن فقط ، منطقة بكراً ، لايكاد الغرب يعرف شيئاً إلا عن أممها الشمالية التى تحتل الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط ، والتى كانت تتمتع مدى الأحقاب بحضارات زاهرة ؛ وكانت هذه الأمم المتمدنة الزاهرة — مصر وبلاد المغرب — تكاد تحجب ماوراءها من أمم القارة السمراء ، وتكون دون اجتياحها سداً منيعاً يحميها من مطامع الاستعمار الغربى الذى استطاع منـــذ القرن السادس عشر أن يجتاح الأمريكتين ، وأن ينفذ إلى الشرق الأقصى ، واستطاع منذ القرن الثامن عشر أن يستقر فى الهند . ومنذ أواخر هذا القرن أيضاً توالت بعوث الاستعمار إلى إفريقية ، فنفذت اليها من الشرق والغرب والشمال ، وأثارت اكتشافات الرُّحَّل مثل منجو بارك ودنهام وكلابرتون ورنيه كاييه وستانلى ولفنجستون وغيرهم فى الأمم الأوربية مطامع وآمالاً جديدة ، وبعثت النهضة الصناعية إليها رغبة قوية فى استعمار تلك المناطق الجديدة واستغلال ثرواتها الدفينة ، واستعباد شعوبها المتأخرة وتسخيرها فى سبيل الغايات الاستعمارية

وكانت أمم إفريقيــة الشمالية ، وهى مفتاح القارة ، بالطبع محط المشروعات والمحاولات الأولى ؛ وكانت اسبانيا أسبق الأمم

الأوربية إلى التطلع إلى تلك الأمم المغربية التي تواجهها في الضفة الأخرى من البحر والتي خاضت معها من قبل كثيراً من المعارك ، والتي استطاعت أيام قوتها وازدهارها – أيام المرابطين والموحدين – أن تغزو اسبانيا وأن تحتل قسمها الجنوبي أعني اسبانيا المسلمة ؛ ومنــذ أيام الأمبراطور شارلكان وولده فيليب الثاني (القرن السادس عشر) بذلت اسبانيا – وهي يومئذ في إبان قوتها وعظمتها – عدة محاولات لافتتاح الجزائر وثغور المغرب ، ولكنها لم تستطع أن تظفر في تلك الوهاد الوعرة بفتوح مستقرة ؛ واستطاعت تلك الأمم المغربية أن تحافظ على استقلالها في ظل طائفة من الحكام المغامرين الذين يرجعون إلى أصل تركي حتى فاتحة القرن التاسع عشر . وكانت اسبانيا قد انحدرت في ذلك الحين إلى عداد الدول الثانوية ، وأخـذت دولة أوربية أخرى هي فرنسا تتطلع إلى افتتاح تلك الأمم واستعمارها ؛ وكانت حمى افتتاح إفريقية قد أخذت تسرى إلى الدول الأوربية ، على أثر الاكتشافات الجغرافية المديدة التي كشفت عن غنى تلك المجاهل بالثروات الطبيعية المدهشـة ؛ وخشيت فرنسا أن تسبقها أمة أوربية أخرى إلى غزو أمم المغرب التي تواجهها في الضفة الأخرى من البحر ولا تبعد عن ثغورها الجنوبية سوى يومين ؛ ولم يكن يعوز الاستعمار أو تعجزه حجج التدخل والعدوان . ففي سنة ١٨٣٠ ، في عصر الملك شارل العاشر ، جهزت فرنسا أسطولاً ضخماً ، وحملة قوية إلى ثغر الجزائر ؛ واستولى الفرنسيون على الثغر الحصين بعد قتال رائع ، وانسحب الحاكم التركي (الداى) بأمواله وأسرته ؛ واتخذ الفرنسيون من الجزائر قاعدة لغزو المغرب الأوسط كله ؛ وكانت بتوسطها ومناعتها أصلح القواعد ؛ ولكن فرنسا لقيت خصماً صلباً عنيداً في عبد القادر زعيم الجزائر وبطلها الأشهر ؛ وقد استطاع هذا الوطني الكبير والجندي الباسل أن ينظم الدفاع عن وطنه زهاء خمسة عشر عاماً هزم خلالها عدة حملات فرنسية قوية ، وكبد فرنسا خسائر فادحة في الرجال والمال ؛ ولكن السياسة الاستعمارية لم ترتد أمام هذا النضال الوطني الرائع ، ولم تحجم في سبيل غايتها عن أية تضحية ؛ فما زالت فرنسا تبعث الحملات المختلفة ، وتستولى تباعاً على قواعد الجزائر ، وتخوض مع عبد القادر معارك مضطربة مستمرة ، حتى أتمت فتح الجزائر ؛ وأسر عبد القادر بعد خطوب وأحداث جمة (سنة ١٨٤٧) ، وارتد الزعيم الباسل بعد أعوام من الأسر بأسرته إلى دمشق ليقضي بقية أيامه فيها

وهكذا كانت الجزائر أول قطر أفريقي سقط في يد الاستعمار الأوربي ، وكان سقوطها فاتحة تلك الحركة الاستعمارية الهائلة التي تعرف « بافتتاح إفريقية » والتي اشـتركت فيها معظم الدول الأوربية الكبرى ، طوراً متحدة وطوراً منفردة ، واستمرت طوال القرن التاسع عشر ، وانتهت بتقسيم إفريقية ، وسقوط أقطارها تباعاً في يد الدول الاستعمارية الكبرى

ولما استقرت فرنسا في الجزائر أخذت تتطلع إلى تونس ومراكش ؛ وكانت تونس بما يسودها من الضعف والتفكك فريسة هينة ، فما زال الفرنسيون بها حتى جردوا عليها حملة غازية في سنة ١٨٨١ ثم جردوا عليها أسطولاً رسا في بنزرت ، وزحفوا على تونس في مايو سنة ١٨٨٥ وأرغموا « الباى » صاحب تونس على أن يعترف بالحماية الفرنسية على القطر التونسي . أما مراكش فقد استطاعت لمنعتها ووعورتها أن تقف في وجه الاستعمار مدى حين ، وعاونتها السياسة الألمانية على مقاومة فرنسا وإحباط محاولاتها حتى أوائل القرن الحالي

وفي الوقت الذي سقطت فيه تونس في يد الفرنسيين كانت انكلترا قد نظمت مشروعها لاحتـلال مصر ، وألفت فرصتها في اختلال الأحوال المالية ، وفي قيام الثورة العرابية ، فبعثت حملتها المعروفة إلى مصر في صيف سنة ١٨٨٢ ، واحتلت عاصمتها في سبتمبر ، في ظروف ما زالت معروفة ماثلة في جميع الأذهان ، وما زال الاحتلال الانكليزي قائماً في مصر ، وما زالت المسألة المصرية تنتظر حـلا شريفاً عادلا يحقق أماني مصر في استرداد حرياتها واستقلالها

* * *

ومنـــذ منتصف القرن التاسع عشر كانت البعثات الاستكشافية المديدة قد ألقت برحلاتها ومباحثها كثيراً من الضياء على افريقية ومجاهلها ووهادها الغنية ، وثرواتها الطبيعية ، المتنوعة ، ولم تمض أعوام أخرى حتى اكتشفت منابع أنهارها العظيمة مثـل النيل والنيجر والكونغو ، وحققت مجاريها

وأحواضها ، وأخذت روعة الثروات العظيمة التى اختصت بها القارة السمراء تحفز الاستعمار الأوربى وتذكى أطماعه ، واشتدت المنافسة بين الدول الكبرى لاقتسام هذه الأقطار الغنية واحتلالها . عندئذ اتفقت الدول على عقد مؤتمر ينظم اقتسام افريقية ، ويحدد مناطق النفوذ والنشاط لكل دولة ، وكان بسمارك المستشار الألمانى هو صاحب الفكرة ، فعقد المؤتمر فى برلين فى أواخر سنة ١٨٨٤ ، واتفق على أن تكفل الحرية التجارية المطلقة لجميع الدول فى حوض الكونغو ، وأن تكفل حرية الملاحة فى نهرى النيجر والكونغو ، وألا يعتبر الاحتلال النظرى قائماً فى منطقة من المناطق حتى يؤيد بالاحتلال الفعلى ، واعترف المؤتمر أيضاً بقيام دولة مستقلة فى الكونغو وأنها ملك شخصى لملك البلجيك وهى التى أضحت فى يومنا مستعمرة عظيمة تملكها دولة أوربية صغيرة هى البلجيك

على أن قرارات مؤتمر برلين لم يكن لها أثر فعلى ظاهر فيما تلا من تقسيم افريقية . وكانت فرنسا قد وضعت يدها على الجزائر وتونس والسنغال ، ووضعت انكلترا يدها على مصر ، ومنطقة الرأس (الكاب) ، وبدأت ألمانيا احتلالها فى نفس الوقت للكمرون وتوجولاند وشرق افريقية ؛ ولم يكن ثمة بد من أن تتفاهم هذه الدول الاستعمارية الكبرى فيما بينها بمعاهدات واتفاقات خاصة على تحديد المناطق التى تطمح كل إلى امتلاكها ، وكانت كل دولة قد شادت بما احتلته أسس امبراطوريتها الاستعمارية فى افريقية . وكانت فرنسا أنشطها فى بناء هذا الصرح الاستعمارى ، فلم تأت أواخر القرن التاسع عشر حتى كانت قد احتلت معظم افريقية الغربيـة ، واستولت على السنغال وأعالى النيجر ، وساحل العاج ، وداهومى ، ونفذت فى قلب افريقية إلى السودان الأوسط حتى بحيرة تشاد ، ووطدت أقدامها فى الشمال فى تونس والجزائر ، وافتتحت جزيرة مدغشقر فى سنة ١٨٩٥

أما انكلترا فانها وطدت أقدامها فى وادى النيل ، فى مصر والسودان ، وشرق افريقية البريطانى ، واحتلت زنجبار ، وأخذت فى بناء امبراطوريتها الاستعمارية العظيمة فى أواسط افريقيـة وجنوبها . وكانت منذ أوائل القرن التاسع عشر قد احتلت منطقة الرأس (الكاب) كما قدمنا ، وكان البوير (وهم سلالة المستعمرين الهولنديين الأوائل) قد استقروا فى منطقة «الأورانج» وفى « ناتال » ، فاستولى الانكليز على ناتال ، وهاجر البوير منها ، وأسسوا لهم مستعمرة جديدة هى «الترنسفال» واعترفت انكلترا باستقلالها سنة ١٨٥٢ ، ولكن انكلترا ما فتئت تبسط سلطانها نحو الشمال تباعا ، فاستولت على أرض الكفر وباسوتولاند ؛ وفى أواخر القرن التاسع عشر أنشأ سسل رودس شركة استعمارية على مثال الشركة التى أسست من قبل فى الهند ، وعضدت الحكومة الانكليزية مشروعه فى فتح الأراضى الواقعة حول حوض الزمبيزى وأمدته بالمال والجند ، وهكذا افتتحت رودسيا ، وأصبحت انكلترا تسيطر على أواسط افريقية الجنوبية من منابع الكونغو حتى الكاب ، ولم يبق خارجا عن سلطانها سوى الترنسفال ومستعمرة الأورانج حيث استقر البوير . وكانت انكلترا تطمح دائما إلى ضم هاتين المستعمرتين إليها لتوحد امبراطوريتها فى افريقية الجنوبية ، وكان البوير من جهة أخرى بزعامة رئيسهم الشهير « كروجر » يناوئون كثيراً من مشاريعها الاستعمارية ، ويقاومون تدخلها بشدة ؛ وأخيراً لم تر انكلترا بداً من اعلان الحرب لتحقيق غايتها ، فاضطرمت الحرب بينها وبين البوير (أكتوبر سـنة ١٨٩٩) وأبدى البوير بسالة عظيمة ، واستطال دفاعهم زهاء ثلاثة أعوام ؛ وأخيراً اضطروا إلى الاعتراف بسيادة انكلترا ولكنهم احتفظوا باستقلالهم الداخلى ، ونالوا من انكلترا تعويضاً ضخماً عما أصابهم من التخريب والخسائر ، وكبدت هـذه الحرب الشهيرة انكلترا خسائر فادحة فى المال والرجال ، ولكنها استطاعت أخيراً أن تحقق مشروعها فى توحيد امبراطوريتها فى جنوب أفريقية

* * *

وفى أواخر القرن التاسع عشر اشتدت المنافسة بين الدول الاستعمارية ولاسيما بين ألمانيا وانكلترا من جهة ، وبينها وبين فرنسا من جهة أخرى . وانتهت انكلترا وألمانيا أخيراً إلى التفاهم وعقدتا فى سنة ١٨٩٠ معاهدة لتخطيط الحدود بين أملاكهما فى إفريقية . وعقدت بين انكلترا وفرنسا فى سـنة ١٨٩٨ معاهدة لتحديد أملاكهما فى حوض النيجر وغرب إفريقية ، ثم عقدت

بينهما معاهدة أخرى فى سنة ١٨٩٩ على أثر حادثة فاشودة المشهورة وفيها تنازلت فرنسا عن دعاويها فى أعالى النيل ؛ وأخيراً عقد « الاتفاق الودى » بين الدولتين فى سنة ١٩٠٤ ، وفيه تعهدت فرنسا بأن تطلق يد انكلترا فى مصر وألا تناوئ سياستها فيها ؛ وتعهدت انكلترا من جانبها أن تطلق يد فرنسا فى مراكش وألا تناوئ سياستها فيها

وثارت بين ألمانيا وفرنسا من أجل مراكش خصومة مضطرمة كادت أن تنفجر غير مرة ؛ وكانت فرنسا تحرص على أن تضم مراكش إلى امبراطوريتها الافريقية ، وتحرص ألمانيا من جانبها على أن تضع فى سبيل فرنسا كل عقبة ممكنة ؛ وفى سنة ١٩٠٥ ، زار الامبراطور ولهلم الثانى ثغر طنجة وألقى خطاباً رناناً حمل فيه على السياسة الفرنسية ؛ واضطرت فرنسا أن تقبل بحث المسألة المراكشية فى مؤتمر دولى ؛ وعقد المؤتمر فى الجزيرة (باسبانيا) سنة ١٩٠٦ من الدول الكبرى ؛ وأصدر قراراً باعلان استقلال السلطان ، ووجوب المحافظة على وحدة الأراضى المراكشية ، مع الاعتراف بحقوق اسبانيا وفرنسا ومصالحهما الخاصة فى هذه المنطقة . ولم تغنم ألمانيا شيئاً . وفى سنة ١٩١١ جردت فرنسا حملة على فاس ، وانتهزت ألمانيا هذه الفرصة فأرسلت سفينة حربية إلى أغادير ، ووقعت بين الدولتين مشادة حادة كادت تنتهى باضطرام الحرب بينهما ؛ ولكن الخلاف انتهى بعقد معاهدة اعترفت فيها ألمانيا بحقوق فرنسا فى مراكش مقابل مزايا استعمارية كبيرة فى إفريقية الوسطى . وعلى أثر ذلك انتهزت فرنسا الفرصة وعملت على ارغام مراكش على قبول حمايتها بمعاهدة عقدت مع السلطان فى سنة ١٩١٢

أما إيطاليا ، وهى رابعة الدول الاستعمارية الكبرى التى اشتركت فى اقتسام أفريقية ، فكان نصيبها طرابلس فى الشمال ، وارترية وشطراً من بلاد السومال فى الشرق . وسنعرض فى فصل قادم إلى تفصيل هذه الغزوات الاستعمارية ، وسنعرض بوجه أخص إلى موقف الحبشة من هذه الحركة الأوربية الاستعمارية الشاملة وكيف نجت من عواقبها ، واستطاعت أن تحتفظ باستقلالها إلى يومنا ؟

للبحث بقية (. . . .)

٣ ـ الشعر *

فى صدر الاسلام وعهد بنى أمية

بقلم احمد حسن الزيات

٢ — خصائص الشعر فى العراق

أما الفرزدق فهو كالأخطل فى الذؤابة من قومه ، إلا أنه كان صريح العداوة فلا يوارى ، فاحش الدعابة فلا يحتشم ، شديد الدعارة فلا يتعفف ، حاد البادرة فلا يتلطف ؛ فهو فى هجائه يذكر العورات ويعلن المخزيات بألفاظها العارية وأسمائها الصريحة حتى ليستحى الشاب أن ينشدها ، بَلْهَ الفتاة الخفِرة . وما أظن البداوة وضيق الخلق وسلاطة اللسان وفجور النفس هى كل الأسباب التى أوجدت هذا الهجاء السوقى الوقح ، فان الحطيئة ومن سبقه على اتصافهم بهذه الأوصاف لم يُسفوا هذا الاسفاف ، فلابد أن يكون لحياة العراق فى ذلك العهد أثر قوى فى ذلك : فالخلق العربى القوى قد وهت أواصره باتصال البدو بالحضر واختلاط العرب بالعجم ، والوازع الدينى قد ضعف بتغلب الأحزاب وضعف العصبية ، والسلطان السياسى يغمض جفنيه ويضحك ملء شدقيه من هذه المهازل التى يمثلها الشعراء والقبائل بالبصرة . أقول القبائل لأن القبيلة كانت من وراء شاعرها تحتال لانتصاره بالمال والقتال والدعاية ، وربما أتى كل رجل منهم بالبيتين والثلاثة فيرفد بها الشاعر كما فعلت تيم فى مهاجاة شاعرها عمر بن لجأ لجرير . وكان أفحش الهجاء هجاء الفرزدق فى جرير ، فهو يرمى قومه بضعة النسب ، وضعف الحيلة ، واتخاذ الغنم ، ورعى الابل ، وإتيان الأتن ، ويفتنُّ فى هذه المعانى افتنانا عجيبا : يرددها فى كل قصيدة على صور مختلفة وأساليب شتى ، ولا يتحرج أحيانا من افتعال الحوادث المضحكة إمعانا فى السخر من المهجو والنيل منه

وهذا غاية ما وصل إليه الهجاؤون وأهل التنادر فى عصور

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربى الذى صدر حديثاً

الترف والخلاعة . وأدهى من ذلك أن يقذف خصمه بنوع من السباب الدنيء الذي لا يعتقده ولا يصدقه الناس ، إنما يعمد إليه مبالغة في التحقير والتشهير على نحو مايعمل الرعاع في الطبقات الوضيعة ، وذلك مالم نعهده في الهجاء من قبل ، إذ كان الشاعر يرى جهة المحاسن في المرء فيمدح ، أو جهة المساوىء فيه فيذم ، وهو في كلتا الحالين صادق

وقد يتدلى الفرزدق في الهجاء إلى الدرك الذي لا تسيغه رجولة ، فينقض رثاء جرير[1] لامرأته بهجائها المقذع ، دون أن يرعى للميت حرمة ولا للمرأة كرامة ، كقوله :

كانت منافقة الحياة وموتها خزى علانية عليك وعار

فلئن بكيت على الأتان لقد بكى جزعاً غداة فراقها الأعيار

تبكي على امرأة وعندك مثلها قمساء ليس لها عليك خمار

وليكفينك فقد زوجتك التي هلكت موقعة الظهور قصار

إن الزيارة في الحياة ولا أرى ميتاً إذا دخل القبور يزار

ورأي الفرزدق في المرأة يدل على جفاء طبع وسوء أنفة ، وربما دل أيضاً على منزلتها في المجتمع العربي في ذلك العهد ؛ ولا نستنبط ذلك من قوله في زوجة جرير ، فقد يكون للخصومة بعض الأثر في سوئه ، وإنما نستنبطه من قوله في زوجته هو حين ماتت :

يقولون زر حدراء والترب دونها
وكيف بشيء وصله قد تقطعا

ولست وإن عزت علي بزائر ترابا على مرموسه قد تضعضعا

وأهون مفقود إذا الموت ناله على المرء في أصحابه من تقنعا

يقول ابن خنزير بكيت ولم تكن
على امرأة عيني اخال لتدمعا

وأهون رزء لامرئ غير عاجز رزية مرتج الروادف أفرعا

على أن طبيعة المهاجاة مع جرير ، وشهوة الغلبة عند العامة ، ونفاد المعاني السامية في الهجاء على طول المدة ، وبلادة الحس وهوان النفس باعتياد الذم ، قد دعت الفرزدق كما دعت جريراً إلى التدرج في الاقذاع والبذاء ، حتى خرج شعرهما في النقائض على قوته وجودته عن الحد المألوف بين السفلة . ولكن الفرزدق مع تبذله كان يصيخ أحياناً إلى وازع الدين لتشيمه ، فيتوب عن قرض الشعر ، ويكف عن هجاء الناس ، ويقيد نفسه ليحفظ القرآن ويقول :

ألم ترني عاهدت ربي وأنني لبين رتاج قائماً ومقام

على قسم لا أشتم الدهر مسلما ولا خارجاً من في سوء كلام

أو يجيب إلى داعي الشرف لحسبه فيصدر في الهجاء عن طبع أبي ونفس كريمة ، فتسمو معانيه وتعف ألفاظه ، كقوله في معاوية وقد حبس عنده مالاً لأحد أعمامه بعد وفاته :

أبوك وعمي يا معاوي أورثا تراثاً فيحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أخذته وميراث حرب جامد لك ذائبه

فلو كان هذا الأمر في جاهلية علمت من المرء القليل حلائبه

إلى أن يقول :

وما ولدت بعد النبي وأهله كمثلي حصان في الرجال يقاربه

وكم من أب لي يا معاوي لم يزل أغر يباري الريح ما ازور جانبه

نمته فروع المالكين ولم يكن أبوك الذي من عبد شمس يخاطبه

***

أما الطامة الكبرى فهي جرير ، لأنه كان مرسل العنان مطلق اللسان لا يعوقه قيد ولا تكبحه شكيمة ؛ فلا هو صاحب سياسة كالأخطل ، ولا صاحب نحلة كالفرزدق ، ولا وارث مجادة كالاثنين ، وإنما كان سوقياً ترعيبة رزقه الله حدة الذهن ، ورقة الأسلوب ، وخبث اللسان ، وزاده الهراش صلابة عود ، وغزارة فكر ، ومتانة شعر ، وسهولة قافية ، فبلغ بالهجاء الفردي والقبلي غايته في الاقذاع والاقناع والقوة ؛ وربما كان أول من أكره الشعر على قبول الأساليب العامية المبتذلة في الهجاء كذكر العورات ، وهتك المحارم ، فاضطر خصومه إلى أن يكلموه باصطلاحه ، ويقاتلوه بسلاحه ، وأصبح بعده الهجاء في العراق لا يفعل في النفوس إلا مشوباً بهذا القذر ؛ وما مهاجاة بشار وحماد إلا صورة من هجاء جرير والفرزدق

كان جرير لعاميته وبيئته ، وللأسباب التي ذكرناها من قبل في معرض الكلام عن الفرزدق ، يصطنع في الهجاء أساليب الدهماء ، فيعير الأخطل بالقلف والخنزير والسكر ، ويقذف البعيث في أمه وهي أمة سجستانية ، ويهاجم الفرزدق في جدته فيتهمها

(1) وهي القصيدة التي مطلعها :
لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك ، والحبيب يزار

بجبير القين ، وفى أختـه جعثن فيرميها بابتذال بني منقر إياها على أثر حادثته مع ظمياء بنت طلبة حفيدة قيس بن عاصم ، ويشهر بقومه فى إخفار عمرو بن جرموز لذمتهم فى قتل الزبير ، ثم يتسقط عيوبه الصغيرة وهفواته الدنيا ، فيجسمها بالمبالغة والتزيـد كضربته النابية للرومى ، وزيجته القالية من نوار

وكان الفرزدق يذهب فى هجائه مذهب الفخر بآبائه ، فيمدد أيامهم الظافرة ، ويجدد مفاخرهم الغابرة ، فلا يستطيع جرير مجاراته فى هذا المضمار ، فيعمد إلى نقض الفخر الصلف بالسخرية اللاذعة والفحش الموجع ؛ وإذا أخذ جرير هذا المأخذ لايقام له . اقرأ على سبيل المثال قصيدة الفرزدق التى مطلعها :

إن الذى سمك السماء بنى لنـا ... بيتاً دعائمـه أعز وأطول

تجده يقول بعد هذا البيت :

بيتاً زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
لا يحتبى بفنـاء بيتك مثلهم ... أبدا إذا عد الفعال الأفضل

فيجيبه جرير فى نقيضته لها :

أخزى الذى سمك السماء مجاشعاً ... وبنى بناءك فى الحضيض الأسفل
بيتاً يحمم قينكم بفنـائه ... دنسا مقاعده خبيث المدخل
قتل الزبير وأنت عاقد حبوة ... تبـا لحبوتك التى لم تحلل
وافاك غدرك بالزبير على منى ... ومجر جعثنكم بذات الحرمل
بات الفرزدق يستجير لنفسه ... وعجان جعثن كالطريق المعمل

ويقول الفرزدق :

حلل الملوك لباسنا فى أهلنا ... والسابغات إلى الوغى نتسربل

فيجيبه جرير :

لا تذكروا حلل الملوك فإنكم ... بعد الزبير كحائض لم تغسل

ويقول الفرزدق :

أحـلامنا تزن الجبال رزانة ... وتخالنا جناً إذا ما نجهـل
فارفع بكفك إن أردت بناءنا ... ثهلان ذو الهضبات هل يتحلحل ؟
خالى الذى غصب الملوك نفوسهم ... وإليه كان حباء جفنة ينقل
إنا لنضرب رأس كل قبيلة ... وأبوك خلف أتانه يتقمـل

فيجيبه جرير :

كان الفرزدق إذ يعوذ بخاله ... مثل الذليل يعوذ تحت القرمل
وافخر بضبة إن أمك منهم ... ليس ابن ضـبة بالمعم المخول
أبلغ بنى وقبان إن حلومهم ... خفت فلا يزنون حبة خردل
أزرى بحلمهم الفياش فأنتم ... مثل الفراش غشين نار المصطلى

ويقول الفرزدق :

وهب القصـائد لى النوابغ إذ مضوا ... وأبو يزيد وذو القروح وجرول

ثم يمضى يعدد الشعراء الفحول ويقول :

دفعوا إلىّ كتابهن وصية ... فورثتهن كأنهن الجنـدل

فيجيبه جرير :

أعـددت للشعراء سماً ناقعـاً ... فسقيت آخرهم بكأس الأول
لما وضعت على الفرزدق ميسمى ... وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل
حسب الفرزدق أن يسب مجاشعاً ... ويعـد شعر مرقش ومهلهل

فأنت تلاحظ أن جريراً يرغب فى الطريق السهل ، ويطفئ حرارة الجد ببرودة الهزل ، ويقابل الكمىّ الهاجم فى سلاحه ولأمته ، وهو فى ثوب المهرج وبزّته وضحكته

ولجرير قدرة بارعة على تتبع الخصم فى حياتيه الخاصة والعامة ، فيتسقط أخباره ويتلقط حوادثه ، ثم يعلنها فى شعره تشهيراً به وفضيحة له :

يتزوج الفرزدق من حدراء بنت زيق بن بسطام على حكم أبيها ، فيقول جرير :

يا زيق قد كنت من شيبان فى حسب ... يا زيق ويحك من أنكحت يازيق
أنكحت ويلك قيناً فى استه حمم ... يا زيق ويحك هل بارت بك السوق
يا رب قائلة بعـد البناء بها : ... لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق

فيقبل أهلها عليه ويقولون له : ماتت ، كراهة أن يهتك أعراضهم جرير ، فيأبى جرير إلا أن يعلن الحقيقة فى قوله :

وأقسم ما ماتت ولكنما التوى ... بحدراء قوم لم يروك لها أهلا

ويعبث الفرزدق في المدينة عبث الشباب ، ويعترف بذلك في قوله :

هما دلتاني من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فيقول له جرير :

تدليت تزني من ثمانين قامة ... وقصرت عن باع العلا والمكارم

ويضرب الرومي في حضرة سليمان بن عبد الملك فينبو عنه سيفه فيقول له جرير :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ومثل هذه الأخبار لطرافتها وجدّتها تعلق بالنفوس وتسير على الألسنة ، كصحف الأحزاب تجعل من حياة خصومها اليومية مادة لجدالها ، وموضوعاً لنقدها ونضالها ؛ وجرير لطول ما تمرس بالهجاء وغامر في الخصومة ، لاذع السخرية ، فاحش الدعابة ، مر التهكم ، ومن ذلك كان يتضور الفرزدق ويمتقع لونه كلما وردت المربد قصيدة لجرير . وأي تهكم أمضّ وآلم من مثل قوله :

يا تيمُ إن بيوتكم تيمية ... قُمس العماد قصيرة الأطناب
قوم إذا حضر الملوكَ وفودُهم ... نُتفت شواربهم على الأبواب

وقوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ... أبشر بطول سلامة يا مربع !

وقوله :

والتغلبي إذا تنحنح للقِرى ... حك استه وتمثل الأمثالا

وقوله :

نخلّ الفخر يا ابن أبي خليد ... وأدّ خراج رأسك كل عام
لقد علقت يمينك رأس ثور ... وما علقت يمينك باللجام

(يتبع) الزيات

السنيون والشيعة

وموقفهما اليوم

للأستاذ محمد رضا المظفر

أُتيح لي أن أتناول « تاريخ القرآن » للأستاذ الزنجاني أبي عبد الله ، فأقرأ في مقدمته كلمة الأستاذ « أحمد أمين » القيّمة في بابها . أقرأها ، فيطربني ما فيها من نغمة متواضعة على وتر من احساس جديد ، نعرفه في الأستاذ اليوم

ولا أكتم الأستاذ أني رجعت إلى ذكريات اختزنت عنه من قراءتي لفجر الاسلام وضحاه . ما آلم هذه الذكرى ! فقد خلقت للأستاذ عندي شخصيتين ، تباعدتا على قرب العهد بينهما ، وكادت تدفعني يومئذ إلى مقالة أضعها بين يديه في « الرسالة » أو في غيرها : لا تخرج عن عتاب برىء على كتابيه ، وعن تشجيع على كلمته الأخيرة وتأييد لها ، وهي التي أطمعتني فيه ، لننشد صراط الاصلاح المستقيم ، ولكني تلكأت لا لشيء ، وما أدري لماذا كان ؟ ولعله لصلاح !

ومنذ أيام كان عدد الرسالة الـ (١١٠) في يدي ، فقرأت كلمة الأستاذ محمد بك كرد علي ، عن تاريخ القرآن ومقدمته ، فطابت لي النبرة وجريت عليها حتى تناولت القلم ، وهأنذا أحدثك وأنا شيعي أجري مع سنيين في ميدان الاصلاح لحظيرة الوحدة التي أقامها لنا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

شهد الله والنبي الأكرم أن من أثقل الأشياء على قلبي أن يقرن بين كلمتي سني وشيعي : يتقارنان تقارن افتراق ، ويتصلان اتصال تنافر ، كقطبي المغناطيس المتماثلين ، وقد خلقت لهما السياسة الغاشمة هذا التنافر الشائن يوم خُلقت ، وآن لنا أن نخجل أمام الله ورسوله من استمرارنا على هذا الشنآن بين أعداء تستمرّ على مطاردتنا وتستغلّ افتراقنا . وما أجدرنا اليوم أن نضرب على هاتين الكلمتين في قاموس اللغة ، فنستريح ونُريح ، ونعود أمة اسلامية واحدة كما أرادها الرسول ، أو كما أرادها الله آمنة مطمئنة خير أمة أخرجت للناس !

يرجو الأستاذ (أحمد أمين) في مقدمته — بعد أن ألمع إلى

بعض أسباب الخلاف — (أن يفكر عقلاء الفريقين فى سبيل الوئام ، ويعملوا على احياء عوامل الألفة وإماتة الخصام ، ويتركوا للعلماء البحث حراً فى التاريخ ، ويتلقوا النتائج بصدر رحب) ويتابعه الأستاذ (محمد بك كرد على) فيقول : (ورأى صديقى هو رأى فريق كبير من علماء المسلمين اليوم) ثم ينقل لنا خطاب العلامة شيخ الجامع الأزهر ، ويقترح أخيراً أن يكتبوا كتاباً فى منشأ هذا الخلاف بين السنة والشيعة والطرق العملية لازالته

وأنا أقترح هذا الاقتراح نفسه على علماء النجف الأشرف عاصمة الشيعة الدينية والعلمية ، ونقترح جميعاً على الفريقين أن يتفاهموا جميعاً قبل كل شىء ، ولكن كيف نحقق هذا الاقتراح ونفرضه عليهم فرضاً ؟ يجب أن نعمل له ! فهل نستطيعه ولا نجعله مثار نزاع جديد ؟

وأؤكد لك أن نشدان علماء الشيعة هو هـــذه الوحدة الضاعة ، يسمون لها ماسنحت الفرصة ، وما عرض لها الزمن ، احتفاظاً بجامعة الاسلام العليا ، وتوحيداً لكلمة المسلمين

فى إبان تأسيس الحكم الوطنى فى العراق (والشيعة أكثرية العراق) نادى علماء النجف بالوحدة عالياً ، وغالوا فى ذلك إلى أبعد حد ، وبذلك استطاعت الأمة العراقية أن تجعل من نفسها شعباً حياً وحكومة صادقة

ولم يكن أبناء الأقطار العربية الأخرى — وخاصة فى مصر — يحسون بواجبهم إزاء العراق الفتى المتطلع إلى سحق العهد التركى البالى ، فكانت لهجات متتابعة ، ووخزات نافذة تلقتها صدور الشيعة من مصر وسوريا ، تلحّ عليها الحاحا ، وتكدّر عليها صفو الاتفاق أيّما تكدير ، وكان من بينها فجر الاسلام وضحاه (وأرجو ألا تخدش هـذه الكلمة عواطف الأستاذ مؤلفهما ، فانها الصراحة نريد أن نتبعها) تعززها الأقلام المستأجرة فى العراق ، وبعبارة أصرح أقلام الاستعمار ، بينما العراق فى ضرورة ملحة إلى الاتفاق بين سنيّه وشيعيّه ، ليرتقى سلم الاستقلال المنشود

***

إنما هى واحدة تجب رعايتها اليوم على كل باحث عن الشيعة من اخوانهم السنيين ، غفل عنها فى فجر الاسلام وغيره . هى واحدة تحلّ كثيراً من الشغب اليوم

نحن نفهم من كلمة الشيعة إذا قلناها : الأمامية الاثنى عشرية خاصة ، لأنهم الأكثرية من بين فِرَق شتى ، وذوو المؤلفات والمعارف التى يقال عنها مؤلفات الشيعة ومعارفها ، ولأنهم اليوم شيعة العراق وسوريا وإيران والامارات العربية على الخليج الفارسى والهند وأفغانستان ، وما إلى ذلك ، وهناك الزيدية فى اليمن والبهرة فى الهند . أما الفِرَق الأخرى التى يعدّدها مثل الشهرستانى فى الملل والنحل وغيره ، فقد أصبحت فى خبر كان ولا يعرف لها أى أثر فى هـــذه البلاد المترامية الأطراف ، إلاّ بعض فِرَقٍ لا يسمع لها حسيس فى المجتمع الشيعى ولا غيره كالغالية

فاذا طوّح القلم بالكاتب اليوم عن الشيعة ، وقرأ ما كتبه السلف عنهم ، خلط الحابل بالنابل ، وألصق عقائد تلك الفرق البائدة بعامة الشيعة ، وعلى الأصح بالشيعة بالمعنى المفهوم الآن ، فكانوا فى نظره مرجئة ، وغالية ، ومجسمة ، ومجبرّة ، وسبئيّة ، وزركشية ، وما إلى ذلك

وهـذا ما ينعى على الباحث المتتبّع ، وهذا ما يثير غضب أولئك الشيعة الأحياء ، من غير ما حاجة تدعو الكاتب ولا ضرورة ، وما أجدر الكتّاب أن يتنبهوا اليوم لهذه الناحية ، فلا يثيروا كوامن أحقاد شائنة بذرتها السياسة لأغراضها فى زمن بعيد لسنا أبناءه ، فلا يصطدم بآراء أفراد — لا فرق — لا نعرف عنهم كثيراً ، ولا يصح أن يدخلوا تحت هذا الاسم . وعند ذلك قد نوفّق إلى التفاهم فالتقارب حيث تفرضه الاخوة الاسلامية ، ويكون بحثنا نزيهاً يتطلّب الحقيقة ليس إلاّ ، ليتلقى الطرفان نتائجه بصدر رحب — على ما يقوله الأستاذ أحمد أمين — كما يتلقون النتائج فى أى بحثٍ علمى وتاريخى ، وكما يقع البحث بين علماء الشيعة أنفسهم ، وبين مذاهب السنة أنفسها ، مادامت السياسة بعيدة عنه وما دام بعيداً عنها

***

وإذا لم نستطع أن نصل إلى ما نتمناه من حمل علماء الأزهر وعلماء النجف على هذه الطريق الحميدة ، وعلى هذا العمل المبرور ، فأكبر الظن أن من السهل علينا ألا نذهب بعيداً ، فنقترح على (الرسالة) الهادية أن تفتح لنا بين أعمدتها سبيلاً للبحث النزيه ، وتعززنا بشجاعتها الأدبية ، فلا تصغى إلى سخط العامة — إذا ما كان — لنستطيع أن نلقى من أطمار الماضى مارثّ وبلى

وفى النجف عندنا جمعيّة دينيّة علمية أُسست هـذا العام باسم (منتدى النشر) تسعى لهذا الواجب وتدعو إليه، (وهى تضم طبقة صالحة من علماء النجف وفضلائها)، وبصفتى كاتبها العام أذيع عنها هذه النية المحمودة، وأذيع عنها استعدادها للعمل فى هـذا السبيل. ولقـد كان لما كتبه الأستاذان (أحمد أمين) و(محمد بك كرد على) الوقع الجميل فى نفوس أفرادها، ورحبوا بهذا التفكير العالى الكبير

وفى مصر (لجنـة التأليف والترجمة والنشر) الموقَّرة، ففى استطاعة الجمعيتين أن يقفا فى ملتقى الطريقين، ليأخذا بأيدى الباحثين إلى الحد المعقول، ويتلقيا النتائج للعمل عليها ونشرها فى بلاد الله، كما نريد أن نقترحه على علماء الأزهر والنجف

ندعو إلى هـذا عقلاء قومنا ليضعوا حـداً لهذه المهازل، وليقارّوا على خطّة واحدة لحلّ الخلاف. وعندى أن يُسدل حجاب كثيف على الماضى البعيد، فيما يعود إلى الحوادث التاريخية التى لا تمس حياتنا العملية اليوم، فينحصر البحث فى نقطة عملية لا غنى لنا عنها

كل ما عنـد الشيعة أنها تتمسك بعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم سفينة النجاة، ولـكن ليس كعقيدة وموالاة فحسب، فان هذه عقيدة كل مسلم اعتنق دين الاسلام مصدّقاً لما جاء به النبى (ص)؛ وإنما نعنى من التمسك بهم أن تأخـذ بأقوالهم فى أحكام الفقه وترجع إليهم فى دين الاسلام، ولا تعرف للتمسك بهم معنى غير هذا، وتدلل على أن ما جاء به النبى ورثوه عنه، وعلمه مكنوز عندهم وهم أمناء عليه معصومون، لا كسائر الرواة عنه وعنهم، يروون الأحاديث كنقـال يخطئون فى النقل ويصيبون، ويصدقون ويكذبون

وبهذا بَعُدت الشقـّة العملية بينهم وبين اخوانهم أهل السنة، وكثر الخلاف فى الفروع الفقهية؛ فكان وضوء السنة وكان وضوء الشيعة، وكانت صلاة السنة وكانت صلاة الشيعة، وكان وكان

فان استطعنا أن نتفق ونحلّ هذا اللغز بيننا حلاً مرضياً، فقد وفـّقنا الى كل شىء، واستطعنا أن نوجه جبهة الاسلام، كما يشاء لنا ديننا دين القيمة، وما هذا على الرجال المخلصين بعزيز

النجف الأشرف **محمد رضا المظفر**

كاتب (منتدى النشر) العام

النقـــد والمثال

لغة الشعر

للأستاذ أحمد الزين

من أهم ما تتفاوت به منازل الشعراء، وتتمايز درجاتهم فى الشعر، وتتفاضل به أذواقهم الفنية فى أداء المعنى وبلوغ الغرض، ويختبر به مدى ثقافاتهم البيانية، ويُعرَف منه مقدار مطالعاتهم الأدبية، ونفوذ كلٍّ منهم إلى حُرّ الكلام وخالصه، وارتوائه من صفو البيان وصريحه، وحفظُه لأحسن ما قرأ، وحسنُ استعماله أحسنَ ما حفظ من الكلمات والعبارات، هو ذلك الثوبُ البيانىّ الذى يُلبسه الشعراء معانيهم، وتلك الصورة اللفظية التى يُبرزون فيها أغراضهم، فبحسَب ما يكون ذلك الثوب مقدَّراً على المعنى، محيطاً بأطرافه، مقيساً على أجزائه، وتكون تلك الصورة اللفظيـة مظهرةً للغرض، مبرزةً لخفايا المعنى، مصوِّرةً لدقائق الفكرة، وما يودعه الشاعر بفنه فى تلك الصورة من الحياة والسحر، وما يترقرق فى الكلمات والعبارات من ماء الجمال، ورونق الحسن، وطلاوة المنطق، أقول: بحسب ذلك كله يكون أثر الشاعر فى القلوب، وسلطانُ شعره على قرّائه، ومنزلتُـه فى الفنّ بين نظرائه. وليس المراد بتحسين الألفاظ وتجميل العبارات هو مجرد جريانها على قواعد اللغة، وموافقتها لنصوص المعجمات، فليس كلّ ما تبيحه اللغة وقواعدها يباح فى الشعر استعماله، ويسوغ للشعراء التعبير به، إذ الشاعر إنما يقصد فى شعره إلى الروعة والجمال وعدم الابتذال أكثر من قصده إلى مجرد جواز الاستعمال. وقد سبق أن أوضحت ذلك فى بعض الفصول التى كتبتها من زمن بعيد فقلت ما نصه: إنه مما لا ينازع فيه ذو ذوق أدبى دقيق أن للشعر لغة خاصة يتميز بها عن غيره، إذا فقدها لا يسمى شعراً بل يسمى كلاماً عروضياً، أى أنه يشبه الشعر فى وزنه وقافيته، دون ألفاظه ولغته، كما أن لكل من الكتابة والخطابة ألفاظاً خاصة يتميز بها كل منهما عن صاحبه، ويتميزان بها عن الشعر؛ والفروق الدقيقة بين

ألفاظ هـذه الصناعات الثلاث وعباراتها لا يدركها إلا من له ذوق صحيح وملكة فنية فى إحدى هذه الصناعات أو فى جميعها .

وقد كان بعض النقاد فى العصور الأولى يسمع الشعر الجيد فيفطن بجودة حسّه إلى ما فيه من ألفاظ غير شعرية ، فيحكم بأنه شعرُ شاعر أو شعرُ كاتب ؛ وكتب الأدب ملأى بهذه الطرائف . وقد فطن علماء الأدب المتقدمون إلى هذه الفروق فأفردوا ألفاظ الكتّاب وعباراتهم بمعجمات خاصة ، منها كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانىّ ، وجواهر الألفاظ لأبى الفرج قدامة بن جعفر وغيرهما ؛ وفى كتاب زهر الآداب للقيروانى فصول كثيرة خاصة بألفاظ الكتّاب وعباراتهم فى كل غرض من أغراض الكتّاب والمنشئين فى ذلك العهد . ولم أجد من العلماء فيما راجعتُ مَن أفرد ألفاظ الشعر والخطابة بمعجم خاص ، وذلك يرجع فيما أظن إلى أن ألفاظ كل صناعة من هذه الصناعات الثلاث لا تتيسر معرفتها معرفة صحيحة إلاّ لأهلها المشتغلين بها ، والمتوفرين عليها ، بل لفحولها المبرزين ، وأعلامها المتميزين ، لا لكل من اشتغل بها ، فلا يمكن الكتاب أن يدركوا من أسرار لغة الشعر والخطابة ما يدرك الشعراء والخطباء أنفسهم منها ، وكذلك الشعراء لا يدركون من دقائق ألفاظ الكتابة وألفاظ الخطابة ما يدركه الكتاب والخطباء أنفسهم من ذلك . وإذن فلا يستطيع تدوين لغة الشعر ولغة الخطابة غير الشعراء والخطباء أنفسهم ؛ ولما كان أكثر الشعراء والخطباء لا يعنون بتأليف الكتب وتصنيف الرسائل عناية الكتاب بذلك لقلة حذقهم بصناعة التأليف فقدت المكتبة اللغوية العربية قسمين عظيمين من هذا النوع الطريف المفيد من المعجمات

وإنك لتجد فقدان اللغة الشعرية فى شعر كثير من شعراء عصرنا ممن لا يرون للبيان اللفظىّ أية قيمة فى الشعر ، ويرون المعانى هى كل شىء ، ولو أديت بأسوإ لفظ وأضعف بيان

وقد سبق فى بعض الفصول أن ذكرتُ للقراء قول بعضهم فى حسن النظم والصياغة اللفظية ما نصه : إنه كمال أدنى إلى النقص ، واحسان أقرب إلى الاساءة . وقول الآخر فى حسن الصياغة اللفظية أيضاً : لقد انقضى عهد الثرثرة والصياغة اللفظية ولن يكون الشعر الجديد شراباً يسقى بالملعقة فى غير جهد لمتناوله ! فتراه يسمى حسن البيان والصياغة اللفظية ثرثرة ، ويقول : إنّ عهد ذلك قد انقضى ! كبرت كلمةً يقولها هذان الكاتبان وأمثالهما ، إن يقولون إلا خطأ عليه العجز والغرض

والغريب أن نسمع ذلك فى عصر يتعاون فيه الأدباء والعلماء والمفكرون مع أولى الأمر فى جميع الأقطار العربية على ترقية اللغة ونشر الثقافة البيانية بانشاء المجامع اللغوية ، وطبع أمهات الكتب الأدبية ، ودواوين فحول الشعراء المتقدمين

فلا أدرى بعد ذلك أىّ الأمرين أحق بأن ينقضى عهده ، ويمحى أثره ، هل هو التكلف والابهام والتعقيد المحير للأفهام ، أو هو البيان المشرق ، والأسلوب المستقيم السمح ، والصياغة الصافية الواضحة ؟

أحمد الزين

العامية والعربية

ألفاظ صحيحة فلماذا لا تستعمل ؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

يتوهم كثيرون من الناس أن اللغــة العامية ليست من العربية فى شىء ، ولهذا يحرصون ، حين يكتبون ، على الفرار من ألفاظها ، ويذهبون يتكلفون ، فتكون النتيجة الاغراب والمباعدة ما بين الـكاتب والقارىء ؛ ومن أجل هذا استفاض الاعتقاد بأن لغة الـكتابة غير طبيعية ، ومن هنا ظهرت الدعوة إلى اتخاذ العامية فى الـكتابة ، ليفهم الناس بغير مشقة ، ولو أن العاميــة دُرست لما كان لهذا كله محل ، وقد سمعت أن المرحوم أحمد تيمور باشا وضع معجما للغــة العامية ردها فيه إلى أصولها العربية ، ولـكنه لم ينشر ، ولا علم لى بما كان من أمره

وقد عثرت فى مطالعاتى على مئات ومئات من الألفاظ العربية يستعملها العامة وإن كانوا يحرفونها قليلاً فى النطق ، وسأورد فى هذا الفصل طائفــة منها بلا ترتيب على سبيل التمثيل ليرى القراء أن اللغة العامية جديرة بالعناية ، وأن اتقاء ألفاظها كلها خطأ ، أو جهل ، وقد جريت فيما أكتب ، على استعمال الصحيح من الألفاظ العاميــة ، واكتفيت بذلك ولـكنى أرى الآن أن التنبيه واجب ، مخافة أن يعتقد بعض القراء أن هــذا منى عن خطأ لا عن عمد

فمن ألفاظ الطعام وما إليه :

الدُّقة ـ الملح مع ما خلط به من الأبزار أو الملح المدقوق

العُجة ـ الدقيق المعجون بالسمن ثم يشوى أو يقلى ، والعامة على عجة البيض

الـكَباب ـ اللحم المشرّح

الوجبة ـ الأكلة

السُّفرة ـ المائدة

القصعة ـ الجفنة

السُّخام ـ السواد الذى يكون على آنية الطبخ من فعل النار

الطاجن ـ إناء من خزف ، يقلى فيه الطعام

المصيدة ـ طعام معروف فى مصر ، من دقيق وسمن

البرمة ـ والبرام ـ قدر وهو مشهور

عقد السكر ـ طبخه حتى ثخن

الشريحة ـ اللحمة المرققة

الهبرة ـ من اللحم البضعة لا عظم فيها ، وهبر اللحم اقتطع منه قطعة كبيرة

التسميط ـ فى رأس الخروف وغيره ، كشط الشعر عن الجلد لطبخه فى الماء

اللَّهوَجةُ ـ لهوجت الطعام لم أنضجه ، والعامة تستعمل اللفظ مجازيا

شاط الطعام وشاطت آنية الطبخ ، احترق

سفسفت الطعام أوسعته دسماً وأكثرت من السمن فيه

سلق اللحم ـ طبخه فى الماء

طبخ ومشتقاته معروفة

وهذه كلها ألفاظ عربية ، يستعملها أعرق الناس فى العامية .

ومن قبيلها أيضاً فى غير هذا الباب :

الحُلوان ـ ما تجعله للرجل من الأجر على عمل يؤديه لك

المصموصة ـ الفتاة المهزولة

الزغزغة ـ الدغدغة

الزَّعر ـ قلة الشعر ، فهو أزعر ، ويستعمل للذيل عند العوام

صوفة القفا ـ الشعر السائل فى نقرته

الشعر المفلفل ـ إذا كان شديد الجعودة

المُدرك ـ الغلام بعد الاحتلام

فروة الرأس ـ الجلدة

لبّد شعره ـ ألزقه بشىء

تكرّش الوجه ـ تقبض جلده

العمش ـ ضعف البصر ، والرجل أعمش

عظمة اللسان ـ ما فوق أصله

الحَنَكُ ـ سقف أعلى الفم

الورْكُ كالوَرِك ـ معروف

الحُق ـ مغرز رأس الفخذ فى الورك

الرُّكبة ـ ملتقى الساق والفخذ

تشيطن الرجل ـ فعل فعل الشياطين

الديوث ـ الذى يُغضى على ما يرى من هنات أهله

الدردبة ـ الجرى الذى فيه دبٌّ

الموالسة ـ المخادعة
المذّاع ـ الكذاب ، والعامة تستعملها بالزاى
البرطمة ـ كلام الغضبان
البرجمة ـ غلظ الكلام
الدندنة ـ الكلام أو الغناء بصوت خفيض
الدبدبة ـ صوت كوقع الحوافر على الصلب من الأرض
الطقطقة ـ الاسم من طقّ ، حكاية لصوت الحجر
بجم ـ سكت من عىّ أو فزع أو هيبة
فَرْشح الرجل ـ أصله أن يثب وثباً متقارباً ، وصار يستعمل للمباعدة بين الساقين
نَهَجَ ـ تتابع نَفَسه من الاعياء والتعب
السكّة ـ الطريق
اكتنّ الرجل ـ صار فى كُنٍّ
تربّع ـ جمع قدميه فى جلوسه ووضع احداها تحت الأخرى
السلفتان ـ امرأتان تتزوجان أخوين
تفرعن ـ صار ذا فرعنة ، أى نكر
جهاز العروس ـ ما تحتاج اليه فى زواجها
العَزَبة ـ التى لا زوج لها
سبّع ـ أقام سبعاً
الخيش ـ نسيج خيوطه غلاظ ، ويكون من مشاقة الكتان ، والمشاقة أيضاً صحيحة
تلفع ـ بمعنى تلحف ، والتفع أيضاً ، والعامة تستعمله على حقيقته وعلى المجاز
العباية ـ كالعباءة تماماً
اللاذة ـ تكون من الحرير ، والعامة تستعملها للقطعة من الحرير يلفونها على الرأس
الكنار ـ للثوب شقة منه تكون فى طرفه
القطيفة ـ هى الخمل
اللاءة والملاية ـ الربطة التى تستتر بها المرأة فى خروجها
البرنس ـ ما يلبسه المرء بعد الاستحمام
الفوطة ـ وجمعها فُوط ، معروفة
المنديل ـ معروف أيضاً
الطُّرطُور ـ القلنسوة الطويلة
التكّة ـ رباط السراويل ، وجمعها تِكك

قوّر القميص ـ جعل له جيباً
الدرابزين ـ للسلم ، معروف
البطانة ـ للثوب خلاف الظهارة
الخياطة ـ للثياب
الشَّلُّ ـ الخياطة الخفيفة ، فى أول الأمر
كفّ الثوب ـ خاط حاشيته
الكُفّة ـ ما استدار حول الذيل
ثوب مُهندم ـ مضبوط
الهدم ، والجمع هُدوم ـ الأكسية
دَعَك الثوب ـ ألان خشونته ، والعامة تستعمله على المجاز
السختيان ـ جلد الماعز
القبقاب ـ نعل من خشب ، والعامة تضم أوله
الصندل والصندلة ـ شبه حذاء ، والفعل تصندل
الشىء المسيخ ـ الذى لا حقيقة لطعمه
الفطور ـ ما يفطر عليه المرء فى العادة أو بعد الصيام
القرن ـ ناحية الهامة
المفرطح ـ العريض
السِّقط ـ الولد يوضع لغير تمام
الطلق ـ وجع الولادة
الأجرد ـ الذى لا شعر عليه ، والعامة تقول الأجرود
نَسَل الشعر والصوف والريش وغيره ـ سقط
البعبعة ـ تتابع الكلام فى عجلة وبصوت أجش
الصُّفارة ـ كالزمارة
كركر ـ وقرقر ـ رفع صوته بالضحك
هأهأ ـ قهقه

* * *

وهناك آلاف من الألفاظ أهملتها لأنه لا خلاف على صحتها ، مثل المرود ، والمكحلة ، والمشط ، والضفيرة ، واللحاف ، والزر والعروة ، والكم ، والابرة الخ الخ ، وقد أهملت هذا الضرب لأنى أردت أن أسوق الألفاظ التى يتوهم الناس أنها غير عربية ؛ وسأورد طائفة أخرى فى فصل غير هذا . ولو عنى رجال المجمع الملكى للغة العربية بمثل هذا البحث لأراحوا أنفسهم من عناء شديد يكابدونه ، ولكان هذا أولى مما يعالجونه من النحت وما إليه وليسروا الأمر على الناس ؟

ابراهيم عبد القادر المازنى

فى بلاد اليونان

قـــدر

للأديب أحمد الطاهر

وقفنا خاشعين صامتين مطرقين ، وأنصتنا إلى الكاهن يتكلم فى وناء وتؤدة ووقار : يقص علينا من التاريخ قصصاً . وما كنا نفهم من يونانيته ونحن مصريون شيئاً ، ولكن ظلمة المكان ، ورهبة المعبد ، وخشوع السامعين من أهل اليونان ، وصوت الكاهن يرن تحت هذه القبة العتيقة ، كل ذلك قد استولى علينا فأنصتنا كالسامعين وأطرقنا كالفاهمين ، وتتبعنا حديثه كما لو كان يتكلم بلسان عربى مبين

وانتهى الكاهن من قصصه ، وصافحناه ، وشكرنا له فضله وخرجنا وعلى وجوه اليونانيين بما سمعوا من الكاهن آثار مقروءة من السرور والألم ، والرضا والسخط ، والفخار والحسرة ، مجتمع بعضها إلى بعض

قلت لصاحبى اليونانى المتمصر : « عجل فاننى جد مشتاق إلى فهم حديث الكاهن ، وما أحسبه إلا لذيذاً ممتعاً » قال : « إنه حقاً لذيذ ممتع ، وسأقصه عليك كما سمعته من فمه . » وسكت برهة كأنما يستجمع ذكريات ، ثم قال : « أنظر إلى هذه الشجرة العتيقة القائمة فى فناء الدير ! » فنظرت إليها وقلت : « ليست إلا شجرة عتيقة قائمة فى فناء الدير ! » قال : إنها صفحة من صفحات التاريخ قرأها لنا الكاهن ، وقرأ لنا صفحات أخرى منها دير آخر يسمى ميفاسبيليون مررنا عليه فى طريقنا من أثينا إلى دير أجيا لافرا الذى نحن فيه . ولا تنس قبل أن أقص عليك الحديث أننا على قمة جبل رفع هامته فى الفضاء ألف متر ، ثم استقر ثم اكتسى رداء أخضر من شجر الصنوبر ، وطاول به جبال سويسرا وازدهى به بين بقاع العالم التى خلعت عليها الطبيعة جمالها . واعلم أن هذا المكان . . . » قلت : « يا صاحبى ! حنانيك لا تطل على ولا تباعد بينى وبين الحديث فما طلبت وصف ما رأيتَ وما رأيتُ ، وأنا وأنت مهما حاولنا وصف المكان فلن نجعل له من ألفاظنا صورة تصلح لأن تدنو من حقيقته ، وحسبى وحسبك أننا متفقان على أن الله قد خلق هذا المكان فيما خلق فأبدع خلقه ، وصوره فيما صور فأحسن تصويره ، وجعل فى الناس صدق النظر وحسن التمييز فتراموا عليه من كل حدب وصوب ينعمون بجماله ويسبحون بحمد خالقه » قال : « ولكنك لا تفهم كلام الكاهن ولا تتذوق حديثه إلا بعد مقدمتى الطويلة فاصبر على ما لم تحط به خبراً . . . إن هذا المكان لم يكن الوصول اليه فى الزمن السالف يسيراً كما هو الآن : فهذه الجبال التى يزحف عليها قطار السكة الحديدية جاهداً كالأسير يرسف فى الأغلال ، ولا يصل إلى عليائها إلا بأضراس من حديد وأسنان كأسنان المشط ترفده كلما ارتفع ، وتصده كلما ارتد أو هم أن يقع ، هذه الجبال لم يكن من السهل أن يرقى اليها الانسان ، ولا أن يخترق جوفها كما يفعل الآن ، ولا أن تطأ هاماتها الأقدام ، ولا أن تفسد جمالها هذه المدنية القائمة على الحديد والنار ، ولا أن يعكر صمتها ويغض من جلالها صخب الناس فى الليل والنهار . ولذلك اتخذها الرهبان مثابة ، ولجأوا اليها يتعبدون ، وما أحسب الجبال قد برمت بهم وقد وجدت بينها وبينهم صلة وشيجة من الصمت والوقار والرهبة والتنزه عن هوان المدنية ، إذا علمت هذا فاعلم أن الجبال والرهبان قد أنس بعضهم ببعض وقطعت الطبيعة ما بينهم وبين سائر الخلق من أسباب ، واتخذ بعضهم اجيالافرا التى نحن فيها مثابة ومتعبدا ، أقاموا فيها ديرهم وبيعتهم الصغيرة التى سمعت فيها حديث الكاهن ، واتخذ بعضهم ميفاسبيليون التى مررنا بها مثابة ومتعبدا آخرين وأقاموا فيها ديرهم وبيعتهم الصغيرة ؛ وسكن الرهبان إلى الجبل ، وسكن الجبل إلى الرهبان

ولكن ظلم الانسان للانسان لا تنقطع أسبابه ، ولا تنسد أبوابه ، فى عام ١٨٢١ الذى بدأ الكاهن منه حديثه كان أهل اليونان قد أضناهم الضيق ، وأعيتهم الحيل ، وأمضهم الظلم ، مما يلقون من عسف الترك وحكمهم الجائر . فى غسق الليل مشى رؤساء القبائل وكبار الرهبان بعضهم إلى بعض يهمسون بالثورة والتمرد ، وما كانوا ليستطيعوا اعلان الثورة أو الاجهار بالتمرد ، بل ما كانوا ليستطيعوا أن يعلنوا مادون الثورة والتمرد مما يسمى شكوى

أو رجاء أو استرحاماً أو ما دون ذلك من ألفاظ الذلة والهوان . ولقيت الدعوة الخافتة من النفوس استعدادا . واجتمعوا تحت ستار العبادة فى هذا المكان ليدبروا أمراً : قال الأحبار : « نحن قادة الثورة وحاملوا لوائها باسم الأمة واسم الدين . » وقالت المشائر : « آمين ! » ، وقال كل حبر من الأحبار : « أنا قائد القواد ولوائى هذا هو اللواء الأعظم بمالى من المكانة بين الحاضرين » ، فدبت بينهم الشحناء وانقسموا شيعاً بعضهم لبعض عدو

ثم خرج إليهم كاهن هذا الدير وفى يده لواء واحد وقال : « لا لواء إلا هـذا اللواء الأعظم : عليه صورة المسيح ، أتجدون خيراً منه تستظلون بظله وترتدون إلى فيئه ؟ » قالوا « إنا معك وإنا لك لأجناد مخلصون » وانضموا إليـه خاضعين يستظلون بلوائه الكنسى ، وهذا هو اللواء الذى كان الكاهن يشير إليه وهو يحدثنا ، وهذا النصب الذى تقيمه الحكومة اليوم إنما يقام تمجيداً لهذا المكان وتخليداً لهذه الذكرى ؛ فهنا اشتعلت نار الثورة الأولى ، وهنا اتحدت القبائل والأحبار ، وهنا وضع أساس استقلال البلاد ، وجاهد القوم أعواماً ذاقوا فيها حلاوة النصر ومرارة الخذلان حتى استنجدت الدولة العثمانية ببطل مصر ابراهيم باشا ؛ وما هى إلا أيام حتى بدا القائد العظيم من فوق هذه الجبال ، ثم انصب على هذا الدير ووقف بجواده تحت ظل هذه الشجرة العتيقة ، وقد انتشرت جيوشه على الجبال فى سفحها وعلى قممها وفى وديانها ، وأحاطوا بالمكان إحاطة السوار بالمعصم . قال ابراهيم باشا : « احرقوا هذه البيعة حتى يخضع من فيها من الثوار » فحرقوها وخضع من فيها من الثوار ، وارتد ميمماً البيعة التى فى ميفاسبليون ، وكأنه عز عليه أن يمضى فى حرق البيع والأديرة ، فأرسل إلى رهبانها كتاباً قال فيـه : « إما أن تخضعوا أو أحرق بيعتكم كما أحرقت بيعة اجيالافرا » واجتمع الأحبار يتشاورون ، ثم دفعوا إليه بكتاب يقولون فيه : « إنك إذا حاربتنا ثم انتصرت علينا فما فى النصر ما يدعو إلى الزهو والفخار ، فما انتصرت إلا على بضعة نفر من الرهبان والأحبار ، وأنت ذو حول وقوة بما جمعت من جيوش جرارة ، وخيل كرارة ، وأسلحة ممشوقة ، ودروع محبوكة ، وأما نحن فمددنا خفيف ، وشأننا ضعيف ، ليس بأيدينا من سلاح إلا هذه المسابح نسبح الله عليها فى همس ونداء ، وليس على أجسامنا إلا هذه المسوح السوداء ، نحمى بها أجسامنا من قر الشتاء ، ولا مركب لنا فى هذه الجبال إلا أقدامنا الكليلة أو بغالنا الهزيلة ، وإن قدر لنا أن ننتصر عليـك ، ونحن على ما ترى من ضعف وهوان ، فما أشـده من عار ، وما أمره من انكسار ، فتدبر أمرك وأمرنا ، واقض بالرأى الأصيل »

قرأ ابراهيم خطاب الأحبار فاستشاط غضباً وأمر بالجزيرة (١) أن تحرق كلها بما وسعت . وأشعل الجند فيها النار ، والنار إذا امتدت فى هـذه الجبال وغاباتها لا تبقى على شىء ولا يصدها شىء . إلا أن يرسل الله من السماء أمطاراً ، أو يجرى الوديان أنهاراً . واحترقت الجزيرة وكل ما فى الجزيرة : إلا هـذا الدير الذى يسكنه هؤلاء الأحبار ، فما امتدت إليـه شرارة من نار ، وبقى معتصماً بمكانه العالى ، يهزأ من فعل النـار ولا يبالى ! وقال الناس : « حقاً تلك إحدى المعجزات ! » ، مضى على هذا الحادث مائة سـنة وعشر سنين حتى كان عام ١٩٣٤ ، وإذا بالدير وبيعته تندلع منهما النار ، لا يعرف لها سبب ، ولا يصد لها لهب ، وأصبح الناس فما وجدوا إلا هشيما تذروه الرياح . وفزعوا يحاولون انقاذ بعض ما حوى الدير من تحف ونفائس فأنقـذوا شيئاً قليلاً . وبحثوا عن كتاب ابراهيم إلى الأحبار وصورة كتاب الأحبار إلى ابراهيم فاذا النار لم تبق على واحـد منهما . وماذا تغنى كتب القواد والأحبار ، إذا حم القضاء واشتعلت النار ؟ أليس حديث الراهب لذيذاً وعجيباً ؟ »

قلت : « وأعجب ما فيه هذه النار : أشعلها بالأمس ابراهيم فكانت على الدير برداً وسلاماً ، وأشعلها اليوم القدر فتركته حطاماً . »

اليوزباشى أحمد الطاهر

---

(١) الجزيرة يقصد بها شبه جزيرة موره

في الأدب الانجليزي

٢ـ الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيري حماد

يجب علينا لفهم هذه الروح فى شعر شكسبير أن نطلع على الحالة العقلية التى كانت تسود عصره والعصور التى سبقته . قال كلارك : « لقد كان هناك عدد عظيم من الملحدين والمشككين وجدوا فى عصر كان بمثابة الخطوة الأولى فى ترقية العلوم المعروفة لدينا الآن . فقد كان تلاميذ كوبرنيكس الفلكى يتساءلون ويتجادلون فى كل ما عرف من النظريات الفلكية من قبل ، وكان هناك نفر آخر من الكيميائيين دحضوا حجج مدعى الكيمياء القدماء ، ولكن هذا النضال لم يكن مقتصراً على جماعة المجددين فحسب ، بل وجد هناك نفر آخر من القدماء المقلدين الذين كانت أقصى غايتهم مقاومة هذا التيار الجارف . وإن من الغرابة أن نجد الملكة اليصابات تستشير المنجمين والدجالين فى تعيين الوقت المناسب للاحتفال بتتويجها ملكة على انكلترة » (1)

ومن حسن حظ العلم قيام عدد من المفكرين أثبتوا فساد كثير من النظريات القديمة المألوفة فبزغ نجم رينولد سكوت (Reginald Scott) لما هاجم عدداً من العقائد الدينية المألوفة ، ولم يقتصر هذا التجدد على المفكرين من رجال العلم بل تعداه إلى رجال الكنيسة أنفسهم فظهر هناك من رجال الكهنوت عدد حاول إصلاح الديانة مما طرأ عليها من الخرافات والأباطيل

أما الخرافات فكانت تسيطر على جميع مناحى الحياة فى ذلك العصر . فكان السحر بطرقه المختلفة مهنة تمتهنها النساء اللواتى كانت تغلب عليهن صفة الذبول والكبر وبشاعة المنظر . وكان معظم هؤلاء النسوة من الشريرات القذرات ممن كان أقصى غايتهن ايقاع الضرر وبذر المساوئ فى المجتمع البشرى . غير أنه وجد فى نفس العصر بعض ساحرات كان همهن شفاء المرضى والقيام بخدمات حسنة للمحتاجين والمهددين بالأخطار

قام الناس على اختلاف طبقاتهم يناوئون السحر والسحرة فهاجموا الساحرات فى عقر دورهن وكانوا يأخذونهن راسفات فى الاغلال إلى السجون حيث ينتظرن محاكمتهن أمام مجالس من القضاة الذين كرهوا السحر وما يأتى به أمثال هؤلاء الشريرات من موبقات وآثام . فكانوا يعذبونهن بأشد أنواع العذاب . فمنهن من ربطن إلى جذوع الأشجار حيث ذقن الموت جوعاً ، ومنهن من كان يطلب إليهن اعادة الصلوات قبل القائهن فى النار المضطرمة

وكان من السائد على أهل ذلك العصر أن ينظروا إلى السحرة كأنهم على اتصال بالشيطان . قال كلارك فى كتابه : « ان من أبغض الأمور التى كان يتعاطاها السحرة فى عصر اليصابات وما قبله ذلك النوع من السحر الذى كان يعرف بالعين الشريرة (Eoil Eye) فكان من جملة معتقداتهم أن فى استطاعة الساحرة أن توقع الضرر أو تميت الناس بمجرد القائها عليهم نظرة من نظراتها النارية ؛ فهذا العمل الذى كان يعتبر من أشد أنواع السحر ضرراً هو بمثابة الحجر الأساسى فى بناء علم التنويم المغناطيسى المعروف لدينا الآن » (1)

وكان هناك نوع آخر من السحرة أقل ضرراً وخطراً ، ذلكم هو نوع العرافين أو المنجمين الذين كان الناس يقصدونهم كما يقصدون قارئى الكف فى يومنا هذا . فكانوا يوهمون قاصديهم باتصالهم بالسماء والعالم العلوى فيقرأون المستقبل فى الماء والهواء ، فى النار والدخان . وكثيراً ما كانوا يضطرون إلى استشارة أرواح الأموات أو تأويل صياح الديكة فى تفسير مايرونه من حقائق وأحلام

أما العفاريت فكان الناس يؤمنون بوجودهم الايمان كله ، وما هم إلا بقايا الأشخاص الخرافيين الذين عاشوا فى عصر من العصور السالفة وأصبح فى استطاعتهم بعد ذلك أن يهيمنوا على الانسان فيحولوا أعماله حسبما يريدون وانى يشاءون . نعم كان هذا الاعتقاد سائداً لدرجة أن أصبحت الكنيسة تعلم أبناءها

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 21

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 39

أن لـكل رجل فى هـذا العالم رفيقاً من عالم آخر يحميه ويقيه غائلة الشر

وكان هنالك نوع آخر من الخرافة هو عالم الأشباح والخيالات . فما الشبح إلا روح غادرت جسدها المائت وانتقلت من عالم الأموات إلى عالمنا هذا ترفرف فى الفضاء لتحقيق غاية من الغايات شريرة كالانتقام والقتل ، أو خيّرة كهداية البشر وصد الآلام عنهم . أشباح مرئية وأشباح غير مرئية تحلق بأجنحتها فى الفضاء فتملأ العالم خيالات لا يحصر عددها ولا يعرف مقدارها

عصر كله خرافات تتسلط على عقول أبنائه الأوهام ، ذلكم هو عصر اليصابات الذى يصفه كلارك بقوله : « على رغم أن ذلك العصر كان عصر بداءة وتمهيد للعلوم المعروفة لدينا الآن ، إلا أن معرفة الحقيقة والطبيعة لم تكن متقدمة للدرجة التى يستطاع بواسطتها القضاء على الخرافات السائدة ؛ فكان الناس يؤمنون بالسحرة والدجالين ، بالفلكيين والمنجمين ، بالحوريات والجنيات ، بالرقى والعزائم ، بالأحلام والاتصال بالأرواح . هذا الاعتقاد السائد كان أكبر عامل فى وجود هذه العوالم فى روايات المؤلفين الذين لم يستطيعوا بأى حال من الأحوال أن يخرجوا عن محيطهم وبيئتهم » (١)

شكسبير والعقائد العامة :

شأن الشاعر أن يدون فى شعره كل ما كان معروفا فى عصره من العقائد العامة ، وهكذا كانت حال شاعرنا شكسبير ، فقد عرف تمام المعرفة أن الخرافات القديمة كانت مواضع خلابة استعملها شعراء الاغريق والرومان فى صوغ عباراتهم وتفسير معانيهم ودقائقهم . ولم تكد العصور القديمة تنطوى فى عالم السجلات والتاريخ حتى ظهر هنالك عالم خرافى جديد كان فى حد ذاته خليفة للعصور التى سبقته ، ذلك العصر هو عصر القرون الوسطى التى لم يستطع الشعراء الاستغناء عن خرافاتها فى لغتهم عما نقله السلف عمن سبقهم

ومما لاشك فيه أن شاعرنا قد تأثر بعدد غير قليل من العوامل : كالجنس والمحيط والبيئة ، فكان أفراد جنسه « يعتقدون أن كل ما هو غير مرئى حقيقة لا شك فيها ولا نقض » ، ولم تكن الخرافات فى عصره قد حوول مهاجمتها محاولة صادقة . نعم كان الاصلاح الدينى قد أخذ فى الانتشار فى البلاد الانكليزية إلا أنه كان مقصوراً على المدن . أما القرى فلم تكن قد تأثرت بهذا الاصلاح أى تأثير

عاش شكسبير فى عصر اضطربت فيه العقائد وتضاربت فيه الآراء ، فاعتقد بعض الرجال المتعلمين اعتقادات كانت بعيدة كل البعد عن عقول غيرهم من الناس ؛ وإن من حسن الحظ أن شكسبير يحاول فى بعض رواياته أن يظهر لقارئيه عقائده وآراءه الشخصية . فهو يعتقد فى الخرافات ، ولكنه يتساءل عن أصلها وكيفية ظهورها ، فهو يقول على لسان الأمير هملت :

« هل من الممكن أن نحسب ذلك الشخص الذى يقضى أوقاته كلها فى الأكل والنوم رجلا ؟ كلا إنه لا يتعدى أن يكون حيوانا فقط . إن من المؤكد أن ذلك الاله الذى وضع فينا قوة المجادلة والتمييز بين ما نعمله وما لا نعمله لم يضع فينا هذه المقدرة لنتركها دون أى استعمال أو ممارسة ، أما الآن فسيان عندى إن كان هذا الفكر مجرد وهم أو غموض سماوى . فالفكر لا يحوى فى حد ذاته إلا جزءاً من أربعة من الحكم والصواب ، بينما اجزاؤه الثلاثة الأخرى لا تخرج عن كونها من عوامل الجبن والخوف ، فلا يمكنني الجزم فيما إذا كنت قد خلقت لأقول مجرد القول فى أن هذه الأمور يجب على أن أعملها ، فى حين أنى قد أوتيت القوة والارادة والحق فى عملها والقيام بها » (١)

إن من الصعب على الشاعر أن يستطيع البحث فى موضوع سماوى بطريقة جدية ترتكز على تفكر وبحث عميقين دون أن يكون له أدنى اعتقاد فى هذه الامور التى يبحث فيها ؛ وبنظرة عميقة لروايات شكسبير يمكنك أن تحصل على نتيجة لبحثه فى مثل هذه المسائل . وقد قال روف (Roffe) فى كتابه (شكسبير وعقيدته فى الأشباح) : « لم يستطع شكسبير أن يجعل أشخاص رواياته ينطقون عن عقائده ، ولكنه استطاع أن يظهرها فى رواياته »

(يتبع) خيرى حماد

(1) Clark. Sh. & the Supernatural P. 33

(I) Hamlet IV 4. 40 — 46

٤ - الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر

لأبي النصر أحمد الحسيني الهندي

فلسفته

إن كل شيء فى هذا العالم متصف بالفردية ، حتى الحياة أيضاً لا تخلو من ذلك ؛ ولا وجود فى الخارج للحياة الكلية التى ينشدها بعض المذاهب الفلسفية والصوفية ، فالله أيضاً فرد واحد ليس كمثله شيء ؛ وأما الكائنات فهى عبارة عن مجموعة الأفراد ، ولكن النظم ، والنسق ، والتوافق والتطابق الموجودة فيها ليست بنفسها كاملة . ومهما كانت فهى نتيجة سعى الأفراد الغريزى ، وعلى هذا فنحن نتقدم بالتدريج من الفوضى إلى النظام ، ومن النقص إلى الكمال . وعدد أفراد هذه المجموعة غير محدود ولا معين ، فانه يزداد كل يوم ويتضاعف . فالأفراد الحديثو الولادة يشاركوننا بدورهم ويساعدوننا للبلوغ إلى هذه الغاية العظمى - الكمال ، ولذلك كان عمل الكائنات غير متناه ، لأنها لا تزال تتدرج فى مدارج الكمال وتترقى إلى ذرى المجد . وعلى أن الكائنات لم تنل الكمال المنشود بتمامه بعد ، وما تفتأ تستنفد وسعها وتفرغ مجهودها فى بلوغه فلا يمكن أن يقال فى شأنها الكلمة الأخيرة ، وما يمكن أن يقال فيها هو أنها ليست بحقيقة كاملة . وعملية الخلق فيها جارية يقوم فيها الانسان بنصيبه ، ويشترك فيها إلى أن يقدر أن يوجد النظام على الأقل فى جزء من فوضاها ؛ والقرآن قد اشار إلى مثل هذا الخلق فى الآية : « فتبارك الله أحسن الخالقين »

فنظرية اقبال هذه فى الانسان والكائنات خلاف ما يراه الانجليز وغيرهم من أتباع مذهب الهيجلية الحديثة أو الصوفية فى مسئلة وحدة الوجود من أن الغاية القصوى لحياة الانسان ونجاتها فى أن تندمج فى الحياة الكلية كما تندمج القطرة فى البحر وتفقد فرديتها

ليست الغاية الأخلاقية للانسان ولا مرمى دينه أن يبيد وجوده باتلاف فرديته وافناء أنانيته ، بل أن يحافظ على فرديته وأنانيته ، وذلك بالحصول على أمثل الصفات وأعلاها التى تجعله فريدا وحيدا . والنبى عليه الصلاة والسلام قد أبانه بقوله : « تخلقوا بأخلاق الله » ، أى اتصفوا بصفات الله ، لذلك كلما كانت صفات الانسان أشبه بصفات الله كان فريد زمانه وواحد عصره

أما الحياة فيرى اقبال أنها اسم آخر للفرد . وأسمى صورة لها تحققت إلى الآن هى الأنانية التى بها يصبح الفرد مركزا مستقلا ؛ فالانسان مركز مستقل من كلا الجهتين ، أى الجسمانية والروحانية ، لكنه ليس بفرد كامل . والفرد كلما كان بعيدا عن الله كانت فرديته ناقصة وأحط درجة ، وكلما كان قريباً من الله كانت فرديته كاملة وأرفع منزلة . وليس معنى القرب هذا أن تكون نهايته الفناء فى الله أو الاندماج فيه كما قرره بعض الصوفية والفلاسفة ؛ بل خلافا لذلك هو يجذب الله اليه ، أى يتصف بصفاته وأخلاقه (١) ؛ وإلى هذا أشار اقبال فى بيت من ديوانه « بيام مشرق » التبس مفهومه على البعض ، قال :

« دردشت جنون من جبريل زبون صيدى
يزدان بكمند آور آى همت مردانه !
إن فى صحراء جنونى جبريل صيد تافه
يا همتى الشماء ائتى فى أنشوطتك بالله . »

يريد به أن الاتصاف بأوصاف الملائكة عنده شيء تافه بل هو يتوخى بهمته الشماء صفات الله

إن الحياة شيء متقدم . هى حركة تجذب الكائنات إلى نفسها بالغلبة على مشاكلها ومعضلاتها العائقة لها عن سيرها وتقدمها ، وجوهر وظيفتها خلق الأمانى والأغراض الجديدة بالاستمرار والتقدم ولصون نفسها قد أوجدت الحياة الوسائل ، أوهى ظهرت طوعاً لشريعة الارتقاء ، وهذه الوسائل هى الحواس الخمس والقوة المدركة التى بها تغلب المشاكل والمعضلات ، وإن كان أكبر العوائق فى طريقها الطبيعة أو المادة ، لكنها فى ذاتها ليست بشر ، إذ هى تمكنها من إبراز قواها الخفية واستعداداتها المكنونة

---

(١) وقد ورد هذا المعنى فى حديث صحيح رواه البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال : .... ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ... الخ وهو خلاف الفناء والاندماج

إن الأنانية حينما تستولى على المشاكل والمعضلات وبين شأوها عليها تنتقل من الجبر إلى الاختيار فانها إلى حد ما مُجبرة وإلى حد ما مختارة كما ورد في الأثر أن « الايمان بين الجبر والاختيار » ، ومتى نالت النهاية القصوى من زلفى الانانية العظمى (أى الله) التى ليس كمثلها شيء فى الحرية والاختيار تمتعت بأقصى مدى من الاختيار والحرية ، وعلى هذا فالحياة عبارة عن الجهد المستمر للوصول إلى ذلك المدى من الاختيار والحرية

قلنا إن مركز الحياة فى الانسان الأنانية التى تملى شخصيته على صفحة الوجود ، والشخصية هذه عبارة عن حالة الجهد المستمر ، فاذا احتفظ بتلك الحالة ، بقيت الشخصية ثابتة البناء مشيدة الأركان ، وإذا فقدت ، ضعفت قواعدها وانتكثت مرائرها ، وبما أن الشخصية أو حالة الجد المستمر أبعد الغايات للانسان وأثمنها ، فينبغى له ألا يدعها ترث قواها فتضعف ، وتنحل عراها فتفنى . لأن بقاءها هو الذى يسبغ عليه الدوام والخلود ، ثم فكرة الابقاء هذه تعطى له أيضاً معياراً للخير والشر أو الحسن والقبح . فان كل ما يقويها خير وحسن ، وكل ما يضعفها شر وقبيح ، سواء أكان من نوع الفن (١) أم الدين أم الأخلاق

على ضوء هذه الآراء انتقد اقبال فلسفة أفلاطون فدحض حجج جميع المذاهب الفلسفية التى تعتبر غاية الانسان الموت بدل الحياة ، فتلقنه الجبن والوهن وذلك بحمله على الأعراض عن المادة التى هى أكبر العوائق فى طريق حياته ، والابتعاد عن مقاومتها ، مع أن جوهر الانسانية فى الاستيلاء عليها واستخدامها لنفسها بالبطولة والفحولة (٢)

وكما أن الاستيلاء على المادة ضرورى لنيل الحرية والاختيار كذلك الغلبة على الزمن لازمة للحصول على الخلود والدوام ؛ و (برجسون) قد علمنا أن الزمان ليس الخط اللامتناهى (فى مفهوم الخط المكانى) الذى لابد أن نجتازه سواء رضينا به أم لم نرض . ولكن هذا المفهوم للزمن ليس بصحيح فان مفهوم الزمن البحت لا يشمل مفهوم الطول

إن الخلود غاية الانسانية وأمنيتها ، يحوزه كل من يسعى لذلك ، وحيازته تتوقف على تلك الأعمال والأفكار من حياتنا التى تقدر أن توطد أساس الانانية على حالة الجد المستمر وتشيد أركانها ، فديانة بوذا وتصوف إيران وأمثالهما من نظريات فلسفة الأخلاق لا تصلح لمأربنا وإن احتوت على بعض الفوائد وهو أننا بعد اجهاد أنفسنا واستغراق وسعنا بالاستمرار نحتاج إلى راحة قليلة لتجديد قوانا ، فكأن تلك الطرق للأعمال والأفكار كالليالى لأيام حياتنا

وعلى كل حال فمتى تمكنت أعمالنا وأفكارنا من توطيد حالة الجد المستمر فى الأنانية ، فالأرجح أن الموت لا يؤثر عليها ، بل محتمل أن تكون الفترة بين حياتنا الحاضرة وحياتنا الأخرى هى فترة الراحة ، وتلك الفترة هى التى عبر عنها القرآن بعالم البرزخ الذى يبقى إلى يوم البعث ، فتلك الأنانية وحدها يمكن ألا تتأثر من الموت وتخرج من الفترة فائزة ، التى قد اعتنت بالحياة الحاضرة اعتناء جيداً ، وإن كانت الحياة تأبى الاعادة والتكرار فى مدارج الارتقاء ، ولكن على حسب مبادئ فلسفة برجسون ، كما يقول لنا الأستاذ ولدن كار ، حشر الأجساد أيضاً فى حيز الامكان التام . إننا نوزع الزمن فى اللمحات لذلك نربطها بالمكان فيصعب علينا عبره ، ولكننا ندرك حقيقته حين نغوص فى أنفسنا لأن الزمن الحقيقى هو حياتنا ، تلك التى توطدت فيها الأنانية بحالة الجد المستمر ، اننا محكومون بالزمن إلى أن نراه مربوطاً بالمكان ، إن الزمن المقيد بالمكان سلسلة لفتها الحياة حول نفسها لتجذب ما حولها إلى نفسها ، وإلا فنحن مجردون عن الزمن ، وهذا التجرد يمكن أن نشعر به حتى فى حياتنا الحاضرة وإن كان لدقيقة

إن الشيء الذى يقوى الأنانية هو العشق فى مفهومه المطلق ومعناه جذبك الشيء أو طلبك إياه لتجعله جزءاً من نفسك ، وأسمى صورة له هو ما يمكّن صاحبه من خلق القيم والغايات ، ويدفعه إلى السعى فى تحقيقها وبلوغها ، ثم العشق يجعل العاشق فريداً كما يجعل المشوق ، وذلك أن طلب الفرد المعين الأوحد يوجد شأن الانفراد فى الطالب عن غيره كما يوجد فى المطلوب ، فانه لا شيء غيره يرضى طلب الطالب ، وكما أن العشق يقوى الأنانية ، كذلك الاستجداء يضعفها ، فكل شيء نيل بغير المجهود الشخصى هو من قبيل الاستجداء ، فالابن الذى يرث

(١) وقد لخصنا رأيه فى الفنون والملاهى فى حاشية مقالنا السابق فراجعه

(٢) وفى القرآن : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » وغيرها من الآيات تفيد هذا المعنى

ثروة أبيه من دون مجهوده الشخصى مستجد ، ومثله ذلك الذى يفكر بفكر الآخرين ويرى برأى غيره . وبناء عليه ينبغى لنا أن نوجد ونربى فى أنفسنا العشق أى قوة الجذب ونجتنب جميع أنواع الاستجداء ، وإليه أشار اقبال فى بيت ترجمته :

« إن المملكة التى لم تشتر بالدم
هى عار على المســـلم »

بقى أن نسأل كيف نوجد العشق ، فيقول اقبال : إن المسلمين على الأقل فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام رداً على ذلك ، فانه عليه الصلاة والسـلام قد وضح بأعماله وحياته ما هو العشق ، وكيف يمكن القيام به ، لذلك ينبغى للمسلمين أن يختاروا حياته عليه الصلاة والسلاة أسوة لأنفسهم وأن يحبوه ، وإليه أشار اقبال فى بيت قال :

« هر كه عشق مصطفى سامان اوست
بحر وبر در كوشه دامان اوست
كل من يكون متاعه عشق المصطفى
يكون البحر والبر فى طرف ذيله »

ان الأنانية فى صعودها إلى فروع العلى ، وبلوغها إلى رفعة الكمال حيث تتمتع بفردية كاملة بنيل زلفى الأنانية العظمى لابد أن تجتاز ثلاث مراحل : مرحلة الخضوع للشريعة ، ومرحلة ضبط النفس وهى الصورة العليا للشعور الذاتى ، ومرحلة الخلافة الآلـهية

ففى مرحلة الخضوع يفسر لنـا اقبال أنه للتقدم لابد من مسلك يسلك ، ومن مشرع يورد ، ومن قانون يخضع له . لذلك كل من يصبو لمعارج الكمال ، ويطمح إلى سنام المجد ينبغى له أن يطيع الشريعة . وفى بيان مرحلة ضبط النفس يقول اقبال إن النفس الانسانية لأمارة بالسوء ، فهى معجبة بذاتها ، أبيّة ، عنيدة ، لا تهتم إلا بأمر نفسها . لذلك هى محتاجة إلى الضبط والتهذيب . فخير طريق لذلك هو إقامة أحكام الشريعة . فالصلاة تنقذها من الفحشاء والمنكر ، والصوم يقتل غلمتها وترفها ، والحج يذيقها لذة الهجر ويخفف عنها سلطان الحب للوطن ويضمها إلى الاجتماع الاسلامى العـام فيجعلها تشعر بجنسية الاسلام ، والزكاة تبيد حبها المال وتعلمها المساواة

أما الخلافة الآلـهية فهى النهاية القصوى للتقدم الانسانى على سطح الأرض ، هى الأنانية الـكاملة والغاية العليا للانسانية ، وقمة الحيـاة من حيث العقل والجسم . ففيها يتحول تشتت الأفـكار فى الحياة الذهنية واختلافاتها وتنافرها إلى التناسق والتوافق ، فتقدر حينئذ على حل جميع العقد المنيعة المطالب والصعبة المرام . هى ملتقى الكمال للعلم والقوة ، ونقطة الاتصال بين الفكر والعمل ، والعاطفة والعقل . ومن استحقها كان آخر ثمرة لدوحة الانسانية ، وظهوره يبرر جميع آلام الارتقاء ومحنه لأنها كانت قائمة لأجله . هو يكون حاكماً حقيقياً على البشر وحكومته تـكون حكومة إلـهية على الأرض . هو يسبغ من خصب طبعه على الآخرين بحبوحة الحياة ويقربهم إلى نفسه . فـكلما يتقربون إليه تتدرج حياتهم فى مدارج التقدم والـكمال

إن بلوغ الانسانية إلى أقصى مدى من التقدم عقلاً وجسماً شرط ضرورى لولادة ذلك المستحق للخلافة . لذلك كان وجوده فى الحال فى عالم المثال ، ولـكن تقدم الانسانية سائر إلى إنتاج طبقة الأفراد المنفردين فى أوصافهم الحميدة قلةً أو كثرةً ؛ فهؤلاء سيكونون أجداده

أما الحـكومة الآلـهية فمناها الديموقراطية المـكونة من الأفراد المنفردين فى أوصافهم الحميدة قلة أو كثرةً برأسهم الفرد الوحيد الذى لا نظير له على وجه الأرض . كانت أشباح هؤلاء الأفراد تجول فى فـكر الفيلسوف الألمانى نيتشه ؛ ولـكن إلحاده وتعصبه الأرستقراطى شوهها تماماً (١)

هذا ما عن لنا من فلسفة إقبال الآن ؛ وسنقدم إليك معالم الاتفاق والاختلاف بينه وبين فلاسفة الغرب فى المقال الآتى إن شاء الله ؟

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

(١) إن الدكتور إقبال قد وضح منذ عشرين سنة الفرق بين ديموقراطية أوربا وديموقراطية الاسلام فى مجلة العهد الجديد ؛ ونحن نلخصه هنا قال :

« إن ديموقراطية أوربا الموفة بأظلال الشيوعية والخيمة بمخاوف الثورة نشأت فى الحقيقة من التجديد الاقتصادى للهيئات الاجتماعية الأوربية . ولـكن نيتشه على كل حال ينكر حكومة الجماعة مثل هذه ويقنط من عامة الناس ، ويؤسس جميع الثقافات العالية على ظهور وتثقيف سبرمان (أى ما فوق البشر) ؛ ولـكن هل العامة حقيقة موضع القنوط ؟

إن الديموقراطية الاسلامية لم تنشأ من تمدد الفرص الاقتصادية ، بل هى مبدأ روحانى مبناه الاعتراف بأن كل إنسان مركز للقوى الخفية التى يمكن أن تكشف إمكاناتها بتربية طراز خاص من الأخلاق والسجايا . وبناء على ذلك فالاسلام قد خلق من عامة الناس المثل العليا من الحيـاة والقوة . أو ليست إذن الديموقراطية الاسـلامية فى القرون الأولى دحض عملى لأفـكار نيتشه ؟ »

الذكر

للأستاذ فخرى أبو السعود

صوتٌ مِنَ الأمس ما أنفكُّ أسمعُهُ   مُرَدَّدُ اللحن فى بالى مُرَجَّعُهُ
لحنٌ شجيٌّ لطيف الوقع ساحرُهُ   يَدُ الليالى على قلبى تُوَقِّعه
إذا تَرَدَّدَ منه فى الضلوع صدًى   ثارَ الحنينُ ونَدَّى الجفْنَ مدمعه
نهرٌ يظَلُّ بنفس المرء مُنْسَرِباً   وفى مجاهلِ ماضى العيش منبعه
طيفٌ مدى العمرِ مِن ماضيَّ يتبعنى   وَدِدْتُ لو أننى ما شاء أتبعُهُ
مَنْ أنْتَ يا مَنْ مِنَ الماضى يخاطبنى   وَمِنْ قرارةِ نفسى بِتُّ أسمعه ؟
تظَلُّ تُحيى الذى قدمات من عُمُرى   وما تَشَتَّتَ مِنْ ماضيَّ تجمَعُهُ
نعَمْ وَتحكى لقلبى من مآربه   ما كان يَنْشُدُهُ قِدْماً ويُزْمِعُهُ
حديثُك العذبُ مهما طال يؤنسهُ   وبالزمان الذى قد مَرَّ يولعه
يا رُبَّ عهدٍ غضيرِ الحُسن رائقِهِ   قد راح وهو حثيثُ الخطو مسرعه
مرتْ عليه بنانٌ منك ساحرةٌ   فهاج بى الشَّوْقَ مغناه ومربعه
وهام قلبى على آثارِهِ لهِجًا   يَوَدُّ لو أنَّ هذا الدهرَ يُرْجِعُهُ
وَرُبَّ وادٍ بنفسى مُزْهِرٍ نَضِرٍ   صَوَّرْتَهُ فهْوَ حالِى النبت مُمْرعه
ومنظرٍ مِنْ طُيُوفٍ أنتَ راسِمُهُ   ومِنْ حنينٍ خَفِيٍّ أنتَ مُبْدِعه
وصورة لِذُكاء وهْىَ غاربةٌ   هفا لها الكونُ إذْ هَمَّتْ تُوَدِّعه
ومَشْرِقٍ حَيَّتِ الأرْواحَ غُرّتُهُ   ونبَّهَ الطيرَ والأزهارَ مطلعُه
هذا ادِّكارى : ملْءُ القلبِ مِن صُوَرٍ   مِنَ الطبيعةِ تَشْجُوهُ وتُمْتِعُــه
وسالفاتِ عهودى فى مباهجها   يُظِلُّنى ثَمَّ نادى الزَّهرِ مُونِعُهُ
حُسْنُ الطبيعة إلْفٌ فى الفؤاد له   عهدٌ بقلْبى باقٍ لا أُضَيِّعُهُ
وليس بالقلب ذِكْرٌ مِنْ أخى مِقَةٍ   يبقى بقَلْبى مَدَى الأيام موْضِعُهُ
فكلُّ ثوْبِ وِدادٍ كنتُ ألْبَسُهُ   يَرِثُّ وَهْوَ جديدٌ ثُمَّ أخلعُهُ
فكيف أهفو إلى رَثٍّ ومُنْخَرِقٍ   من العهود وَبالٍ لستُ أرقعُهُ ؟
مَنْ رام صافيَ وُدٍّ غير ذى كدر   ففى الطبيعة للوُرَّادِ مَشْرَعُهُ
أليفُها حيثما راقتْه صُحبتُهـا   مُمَتَّعُ النفس راوى الطرف مُترعه
أصفَى الوداد وُرُوداً ثُمَّ أدْوَمُهُ   عهـداً وأعْذَبُهُ ذِكْراً وأنفعُهُ

فخرى أبو السعود

بين الهدى والهوى

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

فى طلوع الفجر الوليد على الكو   ن ، وإيذان ليـله بالهروبِ
وهبوب الأنفاس من رُدْنَى الصبـ   ـحِ برَوْحٍ يحيى النفوس وطيب
رنَّ فى مسمع السكون أذانٌ   قُدُسىٌّ الترجيع والتثويب (١)
سال – حتى عم الفضاء – حَناناً   ذائباً فى شعاعه المسكوب !
خالقاً عالَمًا من النور والفتـ   ـنة والسحر والجمال الغريب
رَعَشَاتٌ من الغناء السماوىّ (م) تَخَطَّى الأسماعَ نحو القلوب !
إنما الدين الحقّ فنٌّ طهور   قد سما فى معناه والأسلوب !

* * *

وقف (الشاعر) التقىّ يصلِّى   فى خشوع لذى الجلال المهيب
فرِحاً قلبـه يطير استناناً   فى مجال من الأمانى رحيب
مطمئناً لو أنه احترق الكو   نُ جميعاً ما مسه بلهيب !
عامراً بالهدى يكاد يرى الله (م) بعينيـه فهو جدّ قريب
ربّ ! لِمْ لا تراك عينى ؟ ألا تبـ   ـدو لعينَىْ عبدٍ إليك منيب
كَلِفٍ بالجمال يصبو إلى المنـ   ـبع بعد الأنبوب فالأنبوب !
فاطوِ عنى الحجاب تشهدْ جفونى   لمحةً من جمالك المحبوب

* * *

مرَّ فى سمعه حَفيفٌ لِسَهمٍ   ناشبٍ فى فؤاده المنكوب
ما وعى السمعُ أو درى القلبُ إلاَّ   بعـد حين من وقعه والنشوب
مَنْ رماه ؟ وأىَّ نصل وعن أيـ (م) ـةِ قوس رمى ؟ وفى أىّ حُوب ؟ (٢)
ولوَى الجيـدَ يَسْرَةً فإذا هو   بمثال من الجمال النجيب (٣)

(١) أن يقول المؤذن فى أذان الفجر : الصلاة خير من النوم
(٢) ذنب   (٣) الخالص

قمر طالع عليه من الشر … فة يرنو إليه كالمذهوب
لفتنة الصلاةُ نحو المصلّى … فادّراهُ بكل سهم مصيب
ربّ ! ماذا أرى ؟ ألمحة نور … منك ، أم وهم ناظرٍ مكذوب ؟
أم مَلاكاً بعثته بقبولى … ونجاح المؤمّل المطلوب
ربّ ! قلبى صبا إليه ! كأنْ لم … أكُ فى موقف الصلاة الرهيب
أين وَلّى اطمئنان نفسى ؟ ومَنْ لى … بخشوعى إليك والترحيب ؟ (١)
ربّ ! حل الهوى محل الهدى فى ال
قلب ، ويلاه ! ربّ عافِ الذى بى !
وانتهى من صلاته وهو يهذى … بضلالات شعره والنسيب :

* * *

« ألهمينى وحى الجمال ! فعهدى … بشهود الجمال غير قريب
إن تكن نظرتى لوجهك ذنباً … فالتياعى كفّارة لذنوبى
وابعثى لى – لتدفئى بُرْدَائى – … وقدةً من ذراعكِ المشبوب !
واصبَحينى من خمر عينيك كأساً … تنفِ عنى متاعبى ولُغوبى
وابسمى لى – والابتسام يسير – … تبتسمْ لى الحياةُ بعد قطوب »

* * *

« هى لغز يحلو التأمل فيه … لحكيم وشاعر وأديب
هى فى لِبْسة التفضل حُسْنٌ … من يد الله ، ليس بالمجلوب
يا لها حلوةً عليها من النو … م بقايا تثاؤب محبوب ! !
وبأهدابها خيوط ضياء … عَلِقت من أحلام ليل عجيب !
مُرسَلاً شعرُها على غير ترتيـ … ب ولكن أحلى من الترتيب !
خطّ فى خدها الوساد سعيداً … آيةً من بدائع التذهيب !
وأذاع النسيم عنها بلاغا … أفعم الجو من أريج وطيب
إن طيباً فى الحُق ليس كطيب … مرسل من غلائل وجيوب
بكرت تنضح الشجيرات بالما … ء فينْعمْنَ بالبنان الخضيب
وفؤادى أحق بالرىّ منهن (م) … فهلاّ تمدّه بذنوب !
وقفت وقفة الدّلال أمامى … تتلهّى فى كفها بقضيب !
أرسلت كهرباءها فتمشت … فى عروق بهزة ولهيب
فكأنا (قُطْبا عمودٍ) ترى التيـ … ـار فيه من جيئة وذهوب
(بين جهدى وجهدها أبداً فر … قٌ) فما إنْ تكفّ عن تعذيبى

(١) التعظيم

أيها (السالب) الجميل حنانيـ … ك ترفّق بمهجة المسلوب »

* * *

واستهل الصبح الجديد على الكو … ن مُلَقًّى بالبشر والترحيب
وأتى (الشاعر) الصلاةَ بقلب … شاعر بالملام والتثريب
مستنيب إلى الإله يُرَجّى … عفوه عن ضلاله والحوب
فدوى فى أعماقه رَجْعُ صوتٍ … كصدى الرعد أو دوىّ النُّوبِ (١)
كيف يقوى على سنا (الربّ) قلـ … ـب جُنّ لما رأى سنا (المربوب) ؟
والكمالات لا تناهى لدى الله … فلابد من بقاء الغيوب

على أحمد باكثير

(١) النحل

القـــرية

للأستاذ بشاره الخورى

أيتها الفتانة الصغيره … أنت بتاج مَلك جديره
من القِرى اشتقوا لك اسم القريه … وعطّل السفحُ فكنت الحليه
شاعرك البلبل ذو الالهامِ … وعُودك الجدول ذو الأنغام
والغيمة البيضاء مثل القبه … كأنها من الحرير جبه
تضم أعناق الربى وتلثمُ … فليس إلا شَفةٌ ومبسم
كم طربت شمس لهذا المشهدِ … فمسحت جبهته بالعسجد
حتى إذا الليل سجا ومدا … على الورى جناحه المسودّا
مشى إليه البدر مشىَ الصائدِ … يهتبل الغفلة من مطارد
حتى رمى بخردق النجومِ … صدر الدجى فسِلن كالكلوم
مآتم لكنها أعراس … يدار عندها الهوى والكاس
توحى بها القرية فى رأس الجبل … وأروح العيش خيال وأمل
وساعدٍ عند الضحى مفتولُ … تغمره بالقبل الحقول
أسمر مما لذعته الشمس … فى كفه لكل جسم نفس
يقوم فى الأرض مقام الخالق … فيغدق الرزق على الخلائق
هذا الذى يحاولون قتله … والعدل يقضى أن يموتوا قبله

بشاره الخورى

بين ناقد وشاعر

علم قراء الرسالة من عدد مضى أن الأديب حبيب الزحلاوى اتهم الدكتور الشاعر ابراهيم ناجى بأنه استعان فى قصيدته (عاصفة روح) بقصيدة الشاعر الدمشقى ميشيل عفلق (عاصفة) ، وقد دفع الدكتور ناجى ذلك الاتهام ، وتحدى متهمه أن ينشر القصيدتين فى الرسالة . وأمس أرسل إلينا الناقد نص القصيدتين ومعهما نقد لاذع ، واليوم بعث إلينا الشاعر بنصهما أيضاً ومعهما تعليق ساخر ، فآثرنا أن نطوى النقد والتعليق لخروجهما عن خطة الرسالة ، واكتفينا بنشر القصيدتين ، ليحكم القراء بين الرجلين

عاصفة روح

للدكتور ابراهيم ناجى

أين شطُّ الرجاء يا عُباب الهموم
ليلتى أنواء ونهارى غيوم

اعولى يا جراح أسمِعِى الديان
لا يهم الرياح زورق غضبان

البلى والثقوب فى صميم الشراع
والضنى والشحوب وخيال الوداع

فى احتدام النار واصطخاب الأنين
تضحك الأقدار ترقص السكين

كل يوم يروح فى احمرار الجروح
كل صبح يلوح فجره مذبوح

اسخرى يا حياه قهقهى بالرعود
الصِّبَى لن أراه والهوى لن يعود

الأمانى غرور فى لظى البركان
الدجى مخمور والرد ، سكران

وخليع العباب موجه العربيد
دار بالأكواب ويل هذا العيد

راحت الأيام بابتسام الثغور
وتقضى الظلام فى عناق الصخور

كان رؤيا منام كأسك المسحور
يا ضفاف السلام تحت عرش النور

اطحنى يا سنين مزقى يا حراب
كل برق يبين ومضه كذاب

اسخرى يا حياه قهقهى يا غيوب
الصِّبَى لن أراه والهوى لن يؤوب

عاصفة !

لمشيل عفلق

اعصفى يا رياح ! واهزئى بالسماء
من يكن ذا جناح هل يهاب الفضاء ؟

عبس الغاب وادلهم ، فما يبـ ـسم إلا عن الرعود البوارق
فمشى السر موغلاً فى ثناياه مصوناً من الدجى بفيالق
وتداعت جهم الغيوم ثقهلا ت حبالى بشائبات الصواعق
ذعرت فى الفلاة آمنة الوحـ ش فراحت تمشى كمشية سارق
وسرى الماء لائذاً بحمى الظل (م) ملماً ببعضه متعانق

أمعنت فى الغناء قاصفات الرعود
ذاك ضحك القضاء من قيود العبيد . .

اعصفى اعصفى أيا ريح حتى تُرقصى من دويك الأجيالا
واضحكى كم يثير ضحكك عند الـ حشرات النواح والأعوالا
أوصدت وكرها الثعالب حسرى
لابسات من ضعفها أغلالا
وانبرى الليث ناعم البال يمشى حاشداً تحت نابه الآجالا
ودعاك النسر احملينى أيا ريـ ح إلى حيث لا جناح تعالى !

اغسلى يا سيول زائف الأصباغ
السما كالطبول زمرت بالفراغ

يا سيول افتحى لنفسى مجرى أنا نهر حيران لم يلق بحرا

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٣ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

الرجل ذو الضمير الفاسد يحس فى نفسه حاجة مريضة للتألم ، وهو لا يشعر بأن هذه الحاجة تبعثها علة حقيقية هى وليدة هذا الضغط القاسى على إرادة قوته ، وإنما يدرك فقط أنه متعاقد مع الألوهية على دين لا يمكن أداؤه . ومن الحق أن يبدو له أن هذا الدين شديد تهون فى سبيله الآلام . فهو يحتمل الشقاء ليهدئ غيظ دائنه العنيف ، وليكفر عن خطيئته . وها هو ذا الآن يلتمس العذاب يتذوقه ألواناً ليفى بدين يزعم أن لا نهاية له . يحمل الألم ولا غاية له إلا الألم ليطفئ فى نفسه رغبة التكفير عن ذنبه . وهيهات أن تشبع هذه الرغبة أو تطفأ !

فكرة الخطيئة بعثت مرة ثانية ، وأصبحت الآلة التى يتوعد بها الكاهن ، وبها يسيطر على الأرواح ، وبها انقادت له جموع الأشقياء ووضع يده على النعاج المتألمة التى أبصرها فى الطريق . مضى قدماً الى أولئك المنحطين العاملين بشقاء يجهلون علته ، يتحرون عن العلة أو الواحد المسئول عن انحطاطهم الغارقين فيه . فيوحى الى هؤلاء بأنهم هم أنفسهم كانوا سبب شقائهم الحقيقى ، وأنهم ينبغى لهم أن ينظروا الى هذه الآلام كتضحية صغيرة عن خطيئاتهم التى اجترحوها ، فليتقبلوها — بطرب — كامتحان أراده الله ، فآمنوا به وقبلوا بهذا الحل منه ، وتلقحوا برضاً بهذه الفكرة المسممة عن الايمان بالخطيئة .

وفى أوروبا اليوم مذهب يضم هؤلاء الخاطئين التوابين الذين يعشون بأجساد مريضة وأعصاب ساكنة ونفوس ذاهلة ، فرائس لليأس والهذيان . جوعهم دائم للعذاب ، تستولى عليهم فكرة الخطيئة والهلاك الأبدى

وفى النهاية يجد نيتشه أن التعاليم المسيحية كديانة وكمثل أعلى ، لا تقود إلا إلى العدمية « nihilisme » . يجد أنها خلقت عالماً مفعماً بالأوهام المجردة ، وتخيلت عللاً خيالية وأعمالاً خيالية ، وروابط بين الأكوان خيالية . أسست علماً طبيعياً وهمياً مؤسساً على انكار الأسباب الطبيعية والعلاقات الطبيعية بين الأشياء ، وأسست علم نفس خيالى يرتكز على تفسير خاطىء للحوادث الطبيعية وعلى فلسفة خيالية ، وبينما كان الرجل المسيحى دائباً فى بناء وجود خيالى كان يهدم الوجود الحقيقى ، يقاوم الطبيعة « أصل كل بلاء » فى سبيل الآله « أصل كل خير وهناء » ، فولدت الأوهام المسيحية من بغض الحقيقة ، فهى نتيجة انسانية منحطة ، تربو فيها كمية الشقاء على كمية الفرح ، انسانية تعبة سائمة ، متألمة ، تميل إلى التشاؤم وعدم الحياة ، ولا تجد راحتها إلا فى أحضان العدم

— ٤ —

إن عمل التاريخ الأوروبى هو ظفر شريعة العبيد على شريعة الأسياد ، لأنه قبل تلك الشريعة وعمل على اعتناقها وكفر بهذه الشريعة . . . وإنها لمعركة لا تزال مشبوبة محتدمة عشرين قرناً بين « روما » وارثة الحضارة اليونانية ومثلها الأعلى الأرستقراطى ،

تهت عن غايتى ولكن تيهى ... ينبت الخصب كلما حل قفرا
أنا برق فى قوتى والتهابى ... فى وميض أحيا وأدفن عمرا
أنا ليل يفنى اشتعالاً وحباً ... لتوشى دماؤه الحمر فجرا
أنا زهر أطارت الريح أورا ... قى فأفعمت واسع الجو عطرا
أعطشتنى الرغاب ... فشربت النجوم
وحدانى الشباب ... فامتطيت الغيوم
من ذرى هذه السحاب ارمى ... فوق هام الورى رفيع ازدرائى
قدما فى السماء أركز جذلا ... ن وأخرى على جبين الفضاء
لم يعد لى فى الأرض منزل حر ... واسع مطلبى وعال إبائى
أحرقت بيتى الصواعق لكن ... غسلت لى قلبى بذوب الضياء
مزقت ثوبى الرياح ولكن ... نسجت من دم الشموس ردائى
إعصفى يا رياح ! ... واهزئى بالسماء
من يكن ذا جناح ... هل يهاب الفضاء

الذى هو أقوى مثل وأسمى مثل تحت الشمس ، واليهودية موطن البغض ومنزل الروح «الكهنوتى» ، انتصرت اليهودية والنهضة الحديثة التى شبت فى أوروبا قامت فى وجهها عثرات وعقبات ، كثورة « لوثر » والبروتستانت ، وكثورة الباستيل فى فرنسا ، وانهزام نابليون ، هذه نائبات تتالت فحالت بين بلوغ النهضة غايتها ، فآلت إلى انتصار شريعة العبيد ، فأوروبا الآن غارقة فى انحطاط عميق ، يقضى على ما تبقى فى عروقها من حياة ، حتى ليخشى أن يتقهقر النوع الانسانى إلى الوراء ، فلا يورث بعد اليوم إلا صوراً من الخزى والعار

هذه هى شريعــة العبيد التى تسيطر على العالم تحت اسم « ديانة الألم الانسانى » ، فلنفصل الآن هذه الديانة وماتنطوى عليه

إن تحليلنا لعاطفة الشفقة التى يتبجح بها اليوم معلمو الجيل الحاضر يثبت لنا أن هذه العاطفة ليست من العدل والجمال على المثال الذى يرون . إن عاطفة الشفقة — فى الحقيقة — يتولد منها سرور أنانى . إذ نحن نصنع مع الآخرين الخير كما نصنع الشر . غايتنا من ذلك أن نظهر شعورنا بقوتنا ، ونخضعهم لسلطتنا . أما الرجل القوى الشريف فهو يفتش عن كفء له ليبادله النضال ويحنى هامته بأزاء قوته ، وتراه يحتقر الفريسة الذليلة السهل انقيادها ، وتراه ينحرف عن الخصوم الذين لا يجد فيهم أكفاءه وأمثاله . أما الضعيف فهو يميل إلى الظفر السهل ، والفريسة الخانعة ، وهل كان ضعيف أو شقى يوماً مهيباً ؟ وإن الانسان بطبيعته وإرادته يجنح إلى إحسان لا إلى شقاء

إن الشفقة هى فضيلة الأنفس المتوسطة ، تتدرب عليها دون وازع ولا مانع ، حتى إذا نزلت هذه الشفقة ساحة النبيل أصبحت علامة الانحطاط ، وذهاب الكرامة ، وخساســة الأصل . إن النبيل يكتم آلامه وهمومه ولا يبوح بها . يصرف عن نفسه الارادة الحسنة كما يصرف الارادة السيئة ، والانسان المتألم القبيح قد يكون على حق فى كرهه للشهود الذين يبوحون بسر فاقته وقبحه وتعاسته . هؤلاء الشهود الذين لا يستحون من أن ينظروا إلى ما كان ينبغى له أن يظل خفياً عن العيون ، فيحملون هذا الشقى منة شفقة ما طلبها وما تمناها

إن الشفقة ليست بعاطفة مفيدة فحسب ، بل هى عاطفة منحطة أيضاً . لنتصور أن ديانة الألم قد انتشرت بين الناس فما هى النتيجة ؟ إن كمية الألم تزيد بدلاً من أن تنقص ، ويصبح الانسان مُجبراً على حمل آلامه الخاصة وجزء من آلام الغير ، حملاً على حمل ، وبهذا تضعف الشفقة من حيوية الحياة ، وتجعل من الألم داء سارياً . ناهيك بأن ديانة الشــفقة تضادُّ المذهب الطبيعى السائد حكمه فى الأحياء ، وهو بقاء الأصلح والأنسب الذى يقضى بفناء الكائنات التى لا يصلح تركيبها للحياة ، وقد أتاها حظ بخروجها ظافرة من معركة الحياة ، وكل ديانة ترمى إلى الشفقة هى ديانة تعمل على وقاية العناصر المنحطة ، وعملها هــذا هو ما يسوق إليها الفوز فى كل جيل ، لأن الضعفاء والمرضى هم فى الحقيقة الفريق الغالب ، بينما أن الانسان الخالص الصافى من كل شائبة هو نادرة من نوادر الوجود ؛ وقد ثبت فى كل الأنواع الحية العالية أن الأغلبية فيها هى كائنات منحطة التركيب ، سيئة الخلق ، مستسلمة للألم ، والانسان لا استثناء له من هذا الحكم . والانسان — بالنظر إلى الحيوانات — هو سلالة عاليــة راقية ، قابلة للتطور ، وهو لما يبلغ آخر مرحلة من مراحل التطور فى الكمال ، وهو لما يزل عرضة للحوادث التى تؤثر فيه وتبدل منه . كما أن معدل الانحطاط فى النوع الانسانى هو أبرز وأكثر منه فى سائر الأنواع . وديانة الشفقة تغدو عاملاً كبيراً فى الابقاء على فريق كبير من الأحياء لا فائدة منه ، لأن انتخاب النوع لا يرى غاية له إلا الفناء . هى تحفظ مظاهر الفاقة والبؤس . فتجعل الوجود أكثر قبحاً ، والحياة أكثر ميلاً إلى العدم . إن هذه الديانة هى جزء من العدمية . إنها مهددة للوجود وللنماذج العليا من إنسان الوجود . فان مرأى البؤس والألم والانحطاط والقبح يدعو الرائى إلى رجاء العدم ، إما بعامل اليأس من هذا المرأى أو بعامل الشفقة ، حتى ليغدو مذهب الشفقة مرضاً شديداً يقضى على طبيعة كريمة ، ويقتل منها قوة نضالها ودفاعها ، هذا المرض الدائب على تذليل الذرية الأوروبية ، وتقييد اصطفاء الأنواع السامية ، والحيلولة بين الانسان والسوبرمان

(يتبع)

خليل هنداوى

القصص

صور من هوميروس

٨ - حروب طروادة

من السماء . . .

للأستاذ دريني خشبة

قضى پروتسيلوس نحبه ، وعادت روحه الكريمة إلى هيدز مصطحبة روح زوجته البارة ، وغرست عرائس الفنون فسائل الدردار فوق قبر الراحلين فنمت وترعرعت ، ونعم بفيئها الوارف ماء الهلسپنت (١) ورتعت في ظلها أترابه . . .

ولكن . . . !

لقد كانت روح پروتسيلوس الجذوة التي أججت نيران الحرب فجعلتها ضراماً ! ! فانه ما كاد يُرمى بالسهام فيُصمى ، فيسيل دمه أنهاراً ، حتى تدفقت جيوش الهيلانيين على الشاطىء الأسيوى ، غير مبالين بالموت الأحمر الذي كانت تمطرهم به سهام الطرواديين ، والمنية السوداء التي كانت تقطر من سيوفهم ، فتحصد صفوف الغازين حصداً . لا . لم يبال الهيلانيون بهذا الهول الأكبر ، بل انقضوا على الشاطىء شكاكاً في سلاحهم ، مُقنَّعين في دروعهم ، مرهفين سيوفهم ، تفيض عليهم عدة الحرب كأنهم جِنَّةٌ ترقص في زوبعة ، أو ظلال من الذعر تجول في معمعة

وتبعهم قادتهم العظماء فانطلقوا يبوئونهم مواقف للقتال ، ويلقون عليهم من كلمات الحماسة وخطب الاستبسال ، ما أضرموا به جوانحهم شوقاً إلى خوض الكريهة ، وحنيناً إلى اقتحام الوغى ، وصبوة إلى تقبيل الرقاق البيض

ودُقت الطبول فكانت إيذاناً بهجوم الهيلانيين

فانظر الآن إلى البحر يلتطم بالبحر ، والموج يساور الموج ، والموت يصاول الموت ، والحياة الحلوة تأخذ بتلابيب الحياة الحلوة ، وصيحات الهيلانيين تردها صيحات الطرواديين ؛ وليل الآخرة يغطش نهار الدنيا ، وظلام القبور يكشر لهذه الدور ، والفزع يمشي في صفوف هؤلاء وهؤلاء ، واليتم يجرح هذا الكبد ، ويقرح ذلك القلب ، والحزن يفيض على هذا السهل ، ويجوب ذاك الوادى ، ويرف على قلل تلك الجبال ، وأنين الجرحى يطن في فضاء الساحة الحمراء ، فيملأ الآذان بالهلع ، والنفوس بالجزع ، والدماء تنفجر هنا ، وتتحدّر هناك ، والرؤوس منتثرة فوق الأديم المضرّج ، زائغة أبصارها ، مفغورة أفواهها ، معفرة بالتراب أنوفها التي عزت على العالمين . . .

ثم انظر إلى أخيل يرعد بين الصفوف ويقصف ، ومن ورائه الميرميدون يوزعون المنايا ويهدهدون الحتوف ويقرّبون الآجال !

وأوليسيز المغوار وتلك العجاجة المنعقدة فوق رأسه من غُبار الحرب ، وهذه الصّعدة السمراء بيمينه تنفث الموت في صدور الأعداء !

وأجاكس وجنوده الكُرَّار الفُرَّار ، المذاويد الأحرار !

وبتليوس ! قائد العساكر البَوُوطية ، القروم البواسل ، والليوث الكواسر !

وديوميد ! نبعةُ أرومته ، وسيد عشيرته ، ووجه قومه ، وفارس كتيبته !

وأجاپينور ! فتى أركاديا ، وملاك أمرها ، وشمس ضحاها !

وميجيز ! النَّجد الباسل ، والبطل الحلاحل !

وإيدومينيز ! ملك كريد وقائد جنودها ؛ أباة الذل ، وكُماة الوغى ، ومَرادى الحروب !

وتليپولموس بن هرقل بطل المجازفات ، المقدام أخو

---

(١) هو بوغاز الدردنيل ، وبالقرب من مأخذه الجنوبي ، على شاطىء اسيا توجد طروادة

الغمرات ! (١) ثم انظر إلى الصيد الصناديد من أبناء طروادة ، وجيرانهم الـكماة الأباة الحماة !

هاك هكتور العظيم بن بريام الملك ، عضد طروادة وسندها وليث عرينها ؛ الثبت الصابر المصابر ؛ رابط الجأش شديد البطش ؛ قوى الشكيمة الفارس المقدام !

هاك هكتور الأسد ، يرغى فى أسود الشرى ويزبد ، ويوقل فى بطاح طروادة وينجد !

وهاك إينياس الهائل ، يقود (الدّردان) الأبطال إلى كرائم الفعال فى ساحة القتال !

وهاك بنداروس ! تلميذ أبوللو وربيبه ، يقود فرسانه الفحول ورجاله البهاليل !

وهاهما ولدا ميروبس الـكبير ملك أبيسوس ، يصولان فى الحومة ويجولان !

وهاك آسيوس بن ملك أبيدوس ، يتقدم رعيل فرسانه ، ويداعب أعداءه بمُرّانه !

وهاهم أشبال تراقية ، يقودهم يوفيموس المقدام ، ويقتحم بهم أيما اقتحام !

وهاهم نسور أميدون البواشق ؛ أقبلوا من هناك . . . من جنات سيحون وجيحون ليخوضوا الجحيم ، فى ذلك اليوم المظيم ، وليذودوا عن طروادة ، حليفتهم ؛ ويدفعوا . . . !

وهاهم أمراء ميديا ، أقبلوا فى عدة وعديد ، وكل جبار مريد !

أنظر إذن إلى الجيشين فى مد وجزر ، تبسم لأحدهما الآمال ، وتعبس للآخر المنايا ؛ ثم تدور الدائرة ، فيقلد المنهزم ، ويتأخر المتقدم ، وهكذا دواليك

وتغيب الشمس وتشرق . . . . .

ويبزغ القمر . . . ويغرب

وتكر الأيام ، وتمر السنون !

وكلما لاحت للطرواديين غفلة من أعدائهم خرجوا اليهم وهم ألوف فنالوا منهم ، حتى إذا كرّوا عليهم عادوا إلى معاقلهم فلاذوا بحصونها ، واعتصموا بأبراجها ، وتلبثوا هناك حتى تتاح لهم فرصة أخرى

***

أعوام تسعة ! !

مليئة بالتعب ، مشحونة بالنصب ، مفعمة بالخطوب والأهوال

وكان الهيلانيون يرسلون البعوث والسرايا ، فتجوب الريف ، وتؤوب بالغنائم والفئ ، والأسلاب والسّبى ، فيقتسمها القادة ، ويفيضون منها على الجند

وهاجموا مرة إحدى القرى ، فكان من جملة السبى فتاتان ذواتا رقة وفتون . أما إحداهما فكانت من نصيب أجاممنون ، واسمها خريسيز ، وهى ابنة كاهن القرية الورع ، حبيب أبوللو وخليله وصفيه ، القديس خريسز . وكانت فتاة لعوبا حلوة الدل رشيقة الروح ، وكان أبوها يحبها حبا جما لا تعدل بعضه كل مباهج الحياة ! !

أما الأخرى فقد خلصت لأخيل وأخلصت له الود ، وصافاها هو المحبة ، فكان أحدهما للآخر فى هذه المحنة القاسية الصدر الحنون ، والقلب النجىّ ، والملاذ الأمين . اسمها بريسيز ، وأبوها شريف من أشراف هذه الناحيـة التى نكبت بتلك الحرب الضروس ، فصَليَت لظاها ، وطحنتها رحاها

وعلم كاهن القرية بما كان من أمر ابنته ، فازدحمت على قلبه هموم الحياة ، وأحس فى أعماقه بثقل البلية ، وشعر كأنه جُرّد من كل شيء حتى من نفسه

وبدا له أن يذهب إلى قائد الجند الهيلانى فيفتدى خريسيز ، ولو نزل لأجاممنون عن كل ما يملك . وحذره صحبه من المخاطرة بنفسه فى هذا الطريق الشائك ، ولـكنه لم يعرهم التفاتة واحدة ، بل دهن نفسه بالطيب الـكهنوتى المقدس ، ولبس مُسُوحه ، وعقد زنّاره ، وتناول مِسْبَحة أبوللو العظيم ، ثم توكأ على عصاه المتيدة ، وذهب يتهالك على نفسه ، ويتعثر فى خطاه ، حتى كان تلقاء المعسكر الضخم

وسأل عن خيمة القائد العام ، فقيل له إنها هى الفسطاط الأكبر الذى تبدو قبته هناك .... هناك عند شاطئ الهلسبنت ، بين الجيش وبين الأسطول

وانطلق الـكاهن الجليل والدمع ينحدر من قلبه قطرات من الدم ... عن طريق عينيه ، فيعلق بلحيته البيضاء ، فيصبغها بأرجوانه ، كأنه آية السماء الباكية ، نذيرا لهذه القلوب القاسية ، والغزاة الأقوياء ! !

(١) ذكر هوميروس رؤساء العشائر اليونانية التى اشتركت فى هذه الحرب فى الـكتاب الثانى من الالياذة ونحن نـكتفى بذكر من أوردنا

وبلغ الفسطاط بعد لأى ...

واستأذن على القائد العام فلم يؤذن له .... فاستأذن ثانيةً فهُدِّد بالضرب وبالعقوبة ! ... ولكنه أب مفئود ، وحزين منكود ، فتنظّر قليلاً واستأذن فى أدب ولين واستكانة ، فأذن له ....

ووقف أمام القائد الأكبر واهيَ الجسم موهونَ القلب ، محزوناً متصدعاً ، وحاول الكلام فكانت العبرات تخنقه ، والأسى يعقد لسانه ، والنار المندلعة فى رأسه تنسيه كل شىء

وثار به أجاممنون !

لأنه على ما يبدو فوّت عليه لذةً طارئة ، وسكرةً مواتية ، بمجيئه فى تلك اللحظة الهانئة القريرة ، وإلحافه الشديد بضرورة لقاء القائد ....

واحتشد القادة ورؤساء الجند حول فسطاط القائد ، وسمعوا إلى الكاهن الكبير يقول :

« مولاى !

سعيت اليك عائذاً بك ، داعياً أپوللو العظيم لك ، أن يفىء عليكم من النصر والفتح المبين ، وأن يهبكم من الرعاية والمنّ ما تشتهى أنفسكم ، وتقر به أعينكم ، وما تترفعون به عن ظلم الضعفاء ، والجور على الملهوفين ، فقد يغنى القليل الذى ترضى عنه الآلهة ، عن الكثير الذى يثير سخطها ، ويستنزل غضبها ..

إبنتى يا مولاى !

خريسيز العزيزة ! ردها علىّ يباركْ لك أپوللو ، ويُنرْ لك سبيلك ، ببركة دعوات قديسه الحزين الواقف أمامك ، المبتهل اليك ، المستعد لأن يفتديها بكل ما يملك ، وبكل ما يقدر عليه مما يرضى الملك ! »

لكن الملك أشاح بوجهه ، وكبر عليه أن يجرؤ هذا الكاهن على التفوه بهذه الطلبة المزرية أمامه ! خريسيز ! أينزل أجاممنون عن خريسيز وقد احتلت من قلبه مكانة زوجه كليتمنسترا ؟ واستحوذت على لبه حتى نسى الحرب ، وعزف عن الطعن والضرب ، واستقر معها فى فسطاطه آخذين فى لهو وحب ، وغناء وشرب ! !

أينزل أجاممنون عن خريسيز الجميلة الفاتنة ، ولو استحالت عينا الكاهن بئرين تنزفان الدمع ، وتفيضان بالدم ؟

كلا ! لن ينزل أجاممنون عن خريسيز !

« إصغ يا رجل ! ليس بى أن تكون قديس أپوللو ، وحامل صولجانه ، وحامى مسبحته ، وعاقد زُناره !

ستعود خريسيز معى ... إلى آرجوس ... وسيذوى جمالها هناك ، وتذبل محاسنها بين ذراعى ، وسأكل إليها منزلى تخدم فيه ، وتصير أم بنين ، وسيكون بها قصرى جنة خلد ونعيماً لا يفنى ... اذهب ، فاسفح دموعك فى صومعة أپوللو ، وصعّد زفراتك فى هيكله ، وبين يدى صنمه ... اذهب ، وانج بنفسك من عذاب أليم ...

خريسيز تعود معك !؟

إنك تثير النقمة فى نفسى ، فانج بنفسك ... انج ... »

وتصدّع صدر الرجل ، وكاد قلبه يقف ، فتقف أنفاسه !!

وانثنى والدنيا المظلمة تحجب ناظريه ، وكلمات القائد الظالم تردَّدُ فى مسمعيه ، فما كاد يبلغ قريته حتى خلا إلى أپوللو ، وجلس يبكى ... ويصلى !!

« أپوللو !!

يا إلـهى !! أسمعت ؟ لقد استهزأ بك أجاممنون ، وفجعنى فى بنتى ، وفلذة كبدى ، وقطعة قلبى ، وحياة روحى !!

أپوللو !!

هل سمعت يا رب النور !؟ أرأيت إلى ذلك العاتى المتجبر كيف ثار بقديسك الضعيف المسن الذى أحنت ظهره السنون فى عبادتك ، والصلاة لك ، والتسبيح من أجلك ، والهتاف باسمك . ! ؟

ألا فلتنتقم لعبدك يا أپوللو العظيم ، وليحل على الطغاة غضبك ، ولتُسْحِتْهم بعذاب واصب ، ليس له من قدرتك من دافع ...

أپوللو ... !

استجب يا رب الهيكل الخالد ، وحامى المعبد الأمين !!.. »

وسقط الكاهن أمام المذبح ينتحب ، والشموع الموقدة تذرى دموعها معه !

فثار فى عليائه أپوللو ... !

* * *

انتفض الآله العظيم انتفاضةً رجف من هولها الأولمپ ، ورف فى السماء كأنه سحابة مظلمة فى ليل بهيم ؛ وفوق كاهله

الكبير قوسه الفضية المرنان ، وعلى ظهره كنانته الواسعة الشاسعة ، يُسمع لسهامها صليل أى صليل ... وأشرف من سمائه المضطربة على سفائن الأسطول المطمئن ، وما هو إلا أن تميزها حتى عبس وبسر ، ووتّر قوسه فانهمرت منها سهام كالمطر ، صبّها على السفن حاملات الخيل والبغال أولاً ، ثم لوى فأصلى سفائن الجنود وابلاً منها بعد ذلك ... فلا تسمع إلا أنيناً وبكاءً ، ولا ترى إلا صرعى يضجون ويُعْولون ، ولا تحس إلا زفير جهنم وشهيقها يأخذ القوم من هنا وهنا فيقعون إلى أذقانهم سجداً وبُكِيّاً . . .

أمطر يا طاعون . . .

ولا حنانيك يا أبوللو . . .

* * *

واستمر هذا البلاء تسعة أيام طوال كأنها دهر بأكمله . . .

وفى اليوم العاشر أوحىَ إلى أخيل أن يدعو مجلس الجيش ليرى رأيه فى هذه النكبة التى دهتهم بها ميازيب السماء . فلما التأم شمل القادة ، اجتمع الرأى على أن يذهب كالخاس فيستوحى أربابه لتكشف هذه الغمة ، أو ليرى بماذا ترضى من التضحيات والقرابين !

وعاد كالخاس ، كعادته كلما حمل أخبار الشؤم من لدن أربابه كاسف الوجه ، كالح الجبين ، يحبس فى صدره شجون الأرض ، وهموم السماء ! !

« خريسيز يا سادة ! »

« خريسيز تعود إلى أبيها القديس ، وإلا فتلك مقابركم جميعاً فوق هـذا الشاطئ المظلم ، المضرج بدمائكم ، ودماء أعدائكم . . . ! »

« هكذا تتفق كلمة الآلهة من أجل أبوللو ... فويلٌ لنا جميعاً إن لم نهدئ ثورة صاحب القوس ، ورب النور ، وسيد الشمس . ! »

« اسجدوا لأبوللو ، واخشعوا . . . »

ونهض القوم من صلاتهم مشدوهين لا يحيرون ، ينظر بعضهم إلى بعض ، ولا تنفرج شفة بكلمة ، ولا يتحرك لسان بقول !

ولكن أخيل شعر فى صميمه أن القدر يُسخّره هذه المرة أيضاً لتفريج الأزمة ، وكشف البلاء ، فنهض غير هياب ، وأرسل قولة الحق فى غير وجل ، وصرّح بضرورة إرسال خريسيز إلى والدها القديس معززة مكرمة ، ثم تقديم القرابين من لحم العجول وشحم الأوعال إلى معبد أبوللو ، وإطعام الحاضر من شوائها والباد

وزلزلت الأرض زلزالها ، وهوت السماء فوق رأس أجاممنون !

ونشبت ملحمة هائلة بينه وبين أخيل ، أوشك البطل أن يغمد سيفه من جرائها فى صدر القائد العام ، الذى طلب بكل صفاقة أن ينزل له أخيل عن غادته بريسيز : « إذا كان لابد من نزولى عن خريسيز ليسلم الجند من هذا الوباء !! وليسكن غضب أبوللو ، وترضى السماء ! »

وتأججت نيران العداوة بينهما ، ذاك يحرص على فتاته الهيفاء وذاك يحض على إنقاذ الجنود بتضحية الذات وإنكارها فى سبيل ما هو أسمى وأرفع ، ولكن أجاممنون عمى عن هذا المثل العالى ، فتشبث وأصر إلا ما نزل له أخيل عن بريسيز ، لينزل هو عن خريسيز . ! !

وهنا تتنزل الآلهة لتحكم بين الخصمين !

تبدو مينرڤا ، ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، رسولاً من لدن حيرا ، سيدة ربات الأولمب ، للبطل أخيل ، بحيث لا يراها غيره ، فتعظه أن يضحى بفتاته ، ما دام هذا الفظ يتأبى إلا أن يكون ذلك . . .

ويصدع أخيل بأمر السماء . . .

ويذهب أوليسيز بابنة القديس إلى أبيها حيث يلقاه فى معبده يبكى . . . ويصلى ! فيبشره بها ، ويسأله الصفح والمغفرة فيهش الكاهن ويبش ، وتنهمر من عينيه دموع الفرح

وتقدم القرابين باسم الجيش الهيلانى إلى معبد أبوللو

فينكشف البلاء . . . . . . وترضى السماء . . . ويُدَفّن الهيلانيون موتاهم !

أما أخيل . . .

فينقطع عن المعركة ، وينعزل فى معسكره ، لا يشترك فى الحرب ، ولا يشترك فيها جنوده الميرميدون !

وتحس أمه بما يلم به من الحزن ، فتزوره ، وتعده خيراً على يد الإله الأكبر ، زيوس ، سيد أرباب الأولمب !

(لها بقية) دريني خشبة

من الأدب الأمريكي :

قيصر

للقصصي الأمريكي بول بورك Paul Burcke

تألق نجم مؤلف هذه القصة في العام المنصرم إذ تفوق بقصته « أخلاق » على جميع القصصيين الأمريكيين وأحرز من أجلها « جائزة أمريكا الأدبية لعام ١٩٣٤ »

بدأت المسألة بمعطف مطر . . .

وإذ خرج « قيصر سمث » في مساء يوم من أيام السبت المعهودة من جمعية رماية القرص التي يترأسها وسار على قدميه برغم المطر المدرار شاقا طريقه إلى منزله ، رأى في تسياره الآنسة « شيلا » منزوية في مدخل لاحد المنازل غير حاملة مظلة ولا متدثرة بمعطف ، وكانت تعمل جهدها للمحافظة على ثوبها الجديد من الماء الذي يتدفق منحدراً من سطح المنزل ...

وإلى اليوم لم يدرك قيصر ، وهو الرجل الخجول ، كيف تسنى له أن يبدأ بحديث مع سيدة غريبة عنه ، ولكن لعل فوزه في رماية القرص عصر ذلك اليوم أحيا فيه النشوة . والخلاصة أنه خلع معطفه وقدمه إلى تلك الآنسة ، وارتبك في القول

— « أنت هنا عرضة للتبلل بالماء ... ارتدى هذا المعطف »

ودهشت الآنسة من قوله ونظرت إليه في عجب وقالت :

— « ولكن كيف لي أن أقبل منك ذلك ؟ .... وأنت ؟ »

ولحظ قيصر أن لها عيوناً ناعسة ساحرة ، ولم يكن تبينها من قبل وقال لها :

— « لم يبق لي أن أسير طويلاً ، فنهاية سيري عند منعطف الشارع »

وكان ذلك منه اختلاقا ، وترددت الآنسة بادئ ذي بدء ، وكان من الواضح أن حرصها على ثوبها الجديد جعلها تتقبل في النهاية تلك التضحية . وأجابت

— « حقاً إن ذلك لعطف منك عظيم . لقد انهالت الأمطار فجأة ويلوح لي أنها لن تحتبس قريباً . إنني مدينة لك بالشكر »

فأجابها قيصر وفي نبرات صوته شجاعة الكرام

— « إنه أمر لا يستحق أن ينوه به »

وكان قد اعتزم المسير ، فسألته الآنسة :

— « ولكن إلى أي مكان أرده ؟ »

فقال : « اسمي قيصر سمث »

وسرعان ما حدقت فيه الآنسة وقالت :

— « ما أروعه اسما ! قيصر ؟ »

وأجاب في تواضع القنوع : « أي ، ولماذا ؟ »

ثم فاه بكلام كبير المغزى إذ قال :

— « لا تكلفي نفسك مشقة ارجاع المعطف »

ثم سكت برهة وقال :

— « سأحضر بنفسي لآخذه »

فترددت الآنسة لحظة ثم قالت :

— « حسناً . إني أدعى شيلا هيرست وأسكن في شارع مونرو رقم ١١٤ »

وأسرع في ارتشاف ابتسامتها العذبة واستمر يتابعها بنظراته حتى أدركه جارف من الماء انساق اليه من حافة قبعته ، فذكره بأن الوقت قد حان ليرجع الى المنزل

وفي المساء التالي ذهب ليسترجع معطفه ؛ فتعرف الى المستر هيرست وزوجته ، وقد استبقياه لتناول الشاي . وفي خلال ذلك تعرف الى « المستر راند » الذي كانت له حظوة عند كل فرد من عائلة هيرست . وتراءى لقيصر أن تلك الحظوة وذلك العطف فيهما الكثير من المبالغة التي لا مبرر لها . وكان للمستر راند سيارة اتفق المجتمعون على أن يستقلوها الى الشاطئ . وهنالك لم يجد قيصر من يتحدث اليه غير المستر هيرست ، إذ أن راند كان يسير في صحبة « شيلا » على بضع خطوات خلفهما . ثم دعوا قيصر إلى العشاء في ذلك اليوم ، وفي خلاله اختصته شيلا بابتسامة عذبة

وانتهى الأمر بقيصر إلى هذا الحد . ومنذ ذلك اليوم وهو يحمل وجهاً عبوساً ، وما ذلك إلا لتأكده من أن مشاعره تحمل الحب لشيلا ، ولكن أي أمل له — وهو الموظف البسيط ذو الأجر الضئيل — في آنسة يبتغيها لنفسه رجل مثل « راند » الثري . وبالمال الوفير تستهوى كل آنسة ؛ ثم ماذا يقدمه لها

عوضاً عن المال ؟ أيقدم اسمه العظيم الذى لم يحسن حتى اليوم صيانته ؟ أم يقدم لقبه كرئيس لجمعية رماية القرص ؟ لا شك أن هذا وذاك لا يغرى ، وليس ثمة من فائدة ترتجى . أما لو كنت رئيساً أو وكيلا لرئيس أو على الأقل سكرتيرا لاحدى المؤسسات الكبرى ، وكان لدى ما فيه الكفاية من المال لما توانيت عن نقش اسمى ووظيفتى على قبعتى ، ولأمكننى إذن أن أفصح عما يخالج نفسى ، ولعرفت كيف أرفع من شأن اسمى . ولكن أى حال عليها أنا الآن ؟ قيصر ! ! لا شك أنه هزؤ وسخرية ، وما دمت موظفاً بسيطاً فى « محل دولتل وشركائه » فلست قيصرا بل مجرد « أنت ياسمث » أو « أى . أنت الذى هنالك . . . » ذلك إذا ما أريد مني شيء

وانطوى قيصر على أفكاره ، ثم تذكر موعده فسار إلى منزل شيلا ، ولاحت له من بعد سيارة « راند » مستقرة أمام المنزل . والأولى أن نتغاضى عما تمتم به ساعة أن رآها

وسألها « راند » أثناء تناول الطعام :

ـ إذن فستحضرين يوم السبت إلى ملعب كرة القدم ، حيث تشاهدينني فى الحفلة التى تقام ضد فرقة الأبطال الأقدمين»

وأجابت شيلا : « نعم »

ونظرت إلى قيصر وقالت :

ـ « ولعلك تحضر أنت أيضاً ! »

وهز هذا رأسه وقال :

ـ « إننى آسف ، إذ أنى سأشترك فى اللعب »

وسأله « راند » : « أى شيء ، كرة القدم ؟ » ثم نظر إلى قيصر متعجباً من ضآلة جسمه وحقارة مظهره الذى لا ينم عن بطولة

واحمر وجه قيصر خجلا وقال :

ـــ « كلا ، بل رماية القرص »

فقال « راند » هازئاً :

ـــ « أى ، إنكم ترمون بذلك الطبق الصغير هنا وهنالك ، أليس كذلك ؟ لقد فعلت هذا يوم أن كنت صبياً . أما الآن فانى أجدها لعبة مملة »

وأجاب قيصر لفوره :

ـــ « وكذا شأنى وكرة القدم . لقد كنت أبحث دائما عن لعبة تتجلى فيها المهارة . ولا شك أن قرصاً يرمى ليصيب هدفاً أدعى للمهارة والدقة من كرة تدفع بالأرجل لتتقدم فى السير »

وتدخلت شيلا فى ذلك الحديث الذى أخذ يشتد وقالت :

ـــ « ألم نذكر شيئاً عن النزهة بالسيارة ؟ »

وتحمس « راند » وقال :

ـــ « بلى ، دعينا نذهب إلى الشاطئ »

والتفتت شيلا لقيصر وقالت له :

ـــ « وستكون بالطبع معنا »

وما إن وصلوا إلى الشاطئ حتى نزل ثلاثتهم من السيارة ، وأخذوا يتريضون فى طريق البحر ، وقد خلا من الناس أو كاد ، ولم يبق إلا بضعة أفراد متفرقين يستمتعون بالاستحمام فى البحر

وأرادت شيلا أن تطرق حديثاً لا يجر إلى المشادة ، فسألت :

ـــ « هل يمكنك السباحة ؟ »

ولم يعرف كلاهما لمن وجه السؤال ، إلا أن قيصر بادر بالاجابة فقال :

ـــ « قليلا ، إذ لم أتدرب عليها التدريب الكافى »

ثم قال « راند » :

ـــ « وكذلك حالى ، إن لعب كرة القدم يستولى على كل وقتى ، ولهذا كانت معرفتى بالسباحة ليست عظيمة للغاية »

وسألته شيلا ثانية :

ـــ « وماذا أنت فاعل إذا رأيت رجلا يغرق ؟ وليكن على سبيل المثل ذلك الرجل » وأشارت بأصبعها إلى رجل يسبح على بعد غير كبير من الشاطئ

وأجاب « راند » فى لهجة الواثق من نفسه :

ـــ « بالطبع أقذف نفسى فى الماء وأعود به إلى الشاطئ »

ونظرت شيلا إلى قيصر وقالت له :

ـــ « وهذا ما أنت فاعله أيضاً ، أليس كذلك ؟ »

وتردد قيصر فى الجواب ورنا ببصره إلى ما وراءه فوجد قائمة فى مدخل البحر معلقاً بها « حزام النجاة » مشدوداً بحبل إلى القائمة . فقال :

ـــ « كلا ، إننى لا أقذف بنفسى فى اليم إذ أنى لا أجيد السباحة ، ولا يمكننى أن أسدى للغريق نفعاً »

وصاح راند بصاحبه : « أى جبان ! » ضمنها شيئاً من السخرية

وحدقت شيلا فى قيصر ، الرجل الذى يحمل اسماً كثير الوعود والآمال . وسألته مرة أخرى :

ـ « إذن تتركه يغرق ؟ »

فأجاب قيصر : « كلا ! »

وقبل أن يتم حديثه أخذ السابح — وقد كان على وشك النسيان منهم — فى أن يثير المسألة بنفسه . وكانت مفاجأة عجلى ساعة أن رفع السابح ذراعيه فى الهواء وصرخ مستغيثاً . فنزع راند معطفه . ثم تردد وقال فى نفسه : هل من الانصاف أن أضحى بحياتى ؟ ولا شك أنه رأى فى هـذه اللحظة الماء فى تلك البقعة أعمق منه فى المحيط ، ثم هو أصقع من ثلج القطب .

وحثته شيلا ، وقد بدأ القلق ينتابها :

ـ « أسرع ! ! انه يشرف على الغرق »

وصاح الرجل من الماء فى صوت يكاد يختنق :

ـ النجدة ، النجدة ! !

وصاحت شيلا مرة أخرى :

ـ « أسرع ، أسرع وإلا ذهبت أنا بنفسى اليه »

وقال لها قيصر بينما كان منافسه يتباطأ بشكل مزر ليخلع حذاءه :

ـ « قفى مكانك ! »

ثم انتزع « حزام النجاة » واتخذ موقفاً كالذى اعتاد أن يقفـه فى عصر كل يوم سبت لرماية القرص . ثم رمى رميته فتطاير الحزام مع الهواء ورسم فى الفضاء قوساً عالياً ، ثم انبطح دفعة على الماء . وقد كاد يسقط على رأس المشرف على الغرق

وقال قيصر وقد تملكته السكينة والثقة بالنفس :

ـ « مصيب ! . . . ُيقدّر بنقطتين . . »

وكانت شيلا ترقب رميته وتتابعها بنظرات وجلة . فلما أن اقتيد الذى نجا وجىء به الى الشاطئ وأفرغ زفيره وتأوهاته ، سأل عمن رمى اليه بحزام النجاة ، فأشارت شيلا الى قيصر وقد تملكها الفخار

وحدق الرجل الذى نجا من الغرق فى قيصر وقال له :

ـ « ظننت حقاً أن حياتى قد انقضت ، إذ أصبت بتصلب فى الشرايين فجأة . . . لقد كانت رمية متقنة »

وأفصحت شيلا عن قيصر بقولها :

انه رئيس جمعية رماية القرص

وقال الرجل وقد أدرك سر الأمر :

ـ « آه ، لهذا كانت تلك الرماية محكمة . والآن اسمح لى أن أقول لك إنك أستاذ ماهر . ولو أنك لم تكن هنا لكنتُ الآن فى ناحية ما من قاع البحر . . . انني أود من صميم فؤادى أن أقدم لك خدمة بأى حال ، فعرفني ماذا تريد »

وما فرغ من كلامه حتى أخذ ينظر الى قيصر من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، ثم سأله :

ـ أين تعمل ؟

فأجاب قيصر :

ـ « فى محل دولتل وشركائه »

ـ « واسمك ؟ »

ـ « قيصر سمث »

وقال الآخر بصوت خافت :

ـ « إن قيصر اسم بديع » ثم أفصح وقال : « واسمى بلوارك » وأعقبه قيصر متسائلا :

ـ « من مصنع ينيفرسال للسيارات ؟ ! » فقد كان اسم بلوارك معروفا للجميع ، حتى لصبية الشارع

فقال هذا : ـ « نعم ، وإن لم تعلق أهمية خاصة على وظيفتك الحالية فانى أتقبلك فى محل عملى بكل ارتياح . إننى دائماً فى حاجة إلى شاب له قدرة على العمل فى الوقت المناسب والرجل العملى يجد عندى الطريق مفتوحاً أمامه . »

وأبرقت عينا قيصر وتمتم :

ـ « إذاً فلا أقل من سكرتير ! »

واتجه ببصره نحو شيلا التى كانت تحدق فيه طوال هذه المدة والاعجاب به قد تملكها

واندفع قيصر قائلاً وكأنه قد استقر على أمر

ـ « ليس من طبعى أن أستخلص الحوادث فأستثمرها لنفسى ، ولكن إن كنت حقاً فى حاجة إلىّ فانى أبحث عن وظيفة تمكنني من الزواج . »

ثم أخذ يد شيلا فى يده ، فما تراجعت ولا وهنت ، وكان ذلك أمام سمع « راند » وبصره الذى تبلبل وانطفأ منذ اللحظة الأولى لتلك الواقعة

وهكذا جاوز قيصر كل تقدير

نقلها عن الأنجلزية ع . ا . ع

البريد الأدبي

نظرية النشوء بعد مائة عام

احتفلت جمعية علماء الزولوجيا « علم الحيوان » فى لندن أخيراً بالذكرى المئوية لرحلة العلامة الانكليزى تشارلس داروين إلى أمريكا الجنوبية وجزائر المحيط الهادى ؛ وقد أصبح اسم داروين فى عصرنا علماً على نظرية النشوء والتطور التى تذهب إلى تسلسل الانسان من سلالة أحط من الحيوان ، وأضحت النظريات الدارونية فى ذلك علماً راسخاً ، وكانت رحلة داروين الشهيرة التى كانت أساس مباحثه فى « أصول الأنواع » فى سنة ١٨٣١ ؛ وكان داروين يومئذ فى الثانية والعشرين ، وقد أتم دراسته الجامعية وملكه حب المباحث النباتية والحيوانية ، فانتخب باحثاً طبيعياً مع جماعة من العلماء جهزتها جامعة كمبردج ، واستقلت السفينة الشهيرة المسماة « بيجل » إلى أمريكا الجنوبية ، ولبثت السفينة بيجل تطوف أرجاء المياه الأمريكية ، ومياه المحيط الهادى حتى بلغت أقصى جزائرها المسماة « جلاباجوس » ، وقطعت فى هذه المرحلة نحو خمسة أعوام ، ولم تعد إلى انكلترا إلا فى سنة ١٨٣٦ ، وفى أثناء هذا الطواف كان داروين يجمع المعلومات والملاحظات الدقيقة عما يراه من الحيوان والنبات . وإليك ما يقوله لنا عن هذه المباحث فى مقدمته لكتابه الشهير فى « أصول الأنواع » :

« لما ركبت السفينة بيجل كباحث طبيعى ، لفتت نظرى بعض الحقائق الخاصة بتوزيع المخلوقات التى تسكن أمريكا الجنوبية وبالعلائق الجيولوجية بين سكان هذه القارة فى عصرنا وبينهم فى الماضى . وقد لاح لى أن هذه الحقائق قد تلقى بعض الضياء على « أصول الأنواع » أو مسألة المسائل كما سماها فيلسوف من أعظم فلاسفتنا ؛ ولما عدت إلى الوطن سنة ١٨٣٧ ، فكرت أنه قد يمكن استخراج شىء فى هذا الموضوع بجمع هذه الحقائق وتأملها ، وبعد دراسة خمسة أعوام ، سمحت لنفسى أن أتناول الموضوع وأن أكتب عنه بعض مذكرات ، ثم استخرجت النتائج التى لاحت لى وجاهتها ، وما زلت من وقتها إلى يومنا أتابع مباحثى فى الموضوع »

وقد ضمن داروين مباحثه الأولى كتاباً سماه « رحلة السفينة بيجل » Voyage of the Beagle . وفى سنة ١٨٥٩ أخرج كتابه الشهير الذى يعتبر فاتحة عصر فى المباحث الطبيعية ، وهو كتاب « أصول الأنواع » Origin of Species ، فأثار ظهوره أعظم اهتمام فى الأوساط العلمية ، وما زال داروين يشتغل بنظرياته ومباحثه فى هذا الميدان لا يتحول عنها قط حتى أخرج فى سنة ١٨٧١ كتابه عن « سلالة الانسان » Descent of Man ؛ وفيه يتناول أصل الانسان ونشأته وتسلسله ، ومن ذلك الحين اشتهر مذهب النشوء والتسلسل ، وأثارت نظريات داروين فى طبقات الكافة سخطاً واشمئزازاً لأنها لم تفهم على حقيقتها ، بل فهمت على أنها تذهب إلى تسلسل الانسان من القرد . ولداروين مباحث وكتب أخرى فى هذا الباب يضيق عن ذكرها المقام

قاموس الأكاديمية الفرنسية

من المعروف أن الأكاديمية الفرنسية قد أنشئت فى الأصل منذ ثلثمائة عام لتعنى « بتوسيع اللغة الفرنسية وتجميلها » حسبما ورد فى قانونها التأسيسى . ومع أن الأكاديمية قد استحالت بمضى الزمن الى هيئة أدبية كبرى تقود الآداب الفرنسية وتجمع صفوة زعمائها ، فانها لبثت مع ذلك تحرص على أداء المهمة الأصلية التى خلقت من أجلها ، وهى تنقية اللغة وتحسينها وصقلها . وجهود الأكاديمية فى هذا السبيل تبدو فى القاموس الجامع الذى وضعته عن اللغة الفرنسية ؛ وقد ظهر هذا القاموس فى الصيف الماضى لمناسبة الاحتفال بمضى ثلثمائة عام على تأسيس الأكاديمية ، والطبعة الحالية من القاموس هى الطبعة الثامنة ، وقد بدئ فى وضعها منذ سبعة وخمسين عاماً ! ولولا أن لجنة القاموس ضاعفت جهودها فى الأعوام الأخيرة لما ظهر هذا القاموس الشهير . على

أن الأكاديمية لقيت فى وضعه صعاباً لا نهاية لها ، وخصوصاً فى العصر الأخير حيث كثرت الاختراعات العلمية ، وتغيرت أوضاع الحياة ، وتغلغلت فى اللغة تعبيرات وكلمات جديدة لا نهاية لها . ومع ذلك فان إصداره بعد هذه الحقبة الطويلة يعد عملاً من أعمال الأكاديمية نظراً لغزارته ودقته وجدته وبديع تصنيفه

وفاة كاتب انجليزى

فى الأنباء الأخيرة أن الكاتب القصصى الانكليزى الكبير سيلاس هوكنج قد توفى فى الخامسة والثمانين من عمره ، وكان هوكنج من رجال الدين ، وتولى عدة مناصب دينية فى شبابه ؛ ولكنه منذ سنة ١٨٩٦ ، نبذ حياة الكنيسة ، وخاض غمار الحركة السياسية ، ودخل البرلمان عضواً من حزب الأحرار ، وفى أثناء ذلك ظهر هوكنج بكتاباته ، واشتهرت قصصه ، وكان معاصراً لعدة من أكابر كتاب القصص مثل كونان دويل ، وجاز ورثى ، والسير هاجارد ، وجوزيف كونراد ، وستانلى وعان وغيرهم ، ولكنه لم يبلغ من القوة والشهرة مبلغ هؤلاء ؛ بيد أنه من كتاب هذه المدرسة البارزين . ومن قصصه الشهيرة : « آلك جرين » « رغم القدر » « ضوء الساحر » « الرجل الصامت » « المراقبون فى الفجر » « يقظة أنتونى ورر » وغيرها

ترجمة لانسبورى بقلمه

المستر جورج لانسبورى زعيم حزب العمال البريطانى شخصية عظيمة فى السياسة الانكليزية ، وفى المجتمع الانكليزى ؛ وقد نشأ عصامياً ، فى أوضع البيئات والأوساط ، فاشتغل حمالاً للفحم ، وعاملاً ، وذاق شظف العيش والحياة الشاقة ، وهو اليوم فى السادسة والسبعين من عمره ، ولكنه مازال جم النشاط يتزعم حركة المعارضة فى البرلمان ، ويتزعم حزب العمال ، ويشرف على تحرير جريدة الحزب « الديلى هرالد » ، وقد أخرج أخيراً كتاباً يحتوى ترجمة حياته ؛ وفيه يصف حياة الأحياء والمجتمعات الفقيرة فى مدينة لندن منذ ستين أو سبعين عاماً حينما كان يطوفها صبياً عارى القدمين ؛ ثم يصف أدوار حياته ، وكفاحه فى سبيل رفاهة العمال ، ومثابرته على خدمة القضية التى مازال يخدمها .
ويبدو مستر لانسبورى فى كتابه رقيق العاطفة فياض الرحمة والانسانية ، والعطف على الفقير والبائس .

مؤتمر للصحافة

عقد فى منتصف شهر سبتمبر بمدينة لندن مؤتمر للصحافة باشراف معهد لندن الصحفى ؛ وأرسل مستر بلدوين رئيس الوزارة إلى المؤتمر رسالة نوه فيها بأهمية الصحافة ومسئوليتها العظيمة ، وتأثيرها القوى فى تسيير الرأى العام وتقديره للشؤون العامة . والقيت فى المؤتمر خطب عديدة نوه فيها بأهمية الصحافة الحرة ، وحاجتها إلى قانون تنظم فيه هذه الحرية ؛ ولما كان فى القانون الجديد الذى صدر خاصاً بالنشر ما يتعارض مع هذه الأمنية ، فقد أعرب المؤتمر عن أمله فى أن يترك للصحفيين حق تنظيم شؤونهم الخاصة ، وقرر السعى لدى البرلمان لحمله على تحقيق هذه الأمنية باصدار قانون جديد ، وقرر المؤتمر أيضاً أن ينشىء نظاما للمعاش يغذى الصحفيين العاطلين والمعوزين

أوتوكار أوسترشيل

توفى أخيراً فى براج عاصمة تشيكوسلوفاكيا الموسيقى الشهير أوتوكار أوسترشيل مدير المسرح الوطنى ببراج ، وقد كان استرشيل زعيم المدرسة الموسيقية الحديثة فى تشيكوسلوفاكيا ؛ ودرس فى النمسا وألمانيا ، وظهر منذ شبابه بالبراعة فى التأليف الموسيقى ، وله مؤلفات عديدة فى الموسيقى وقطع موسيقية شهيرة ما تزال تحتفظ بروعتها وجدتها ، وكانت وفاته فى عنفوان قوته وشهرته إذ لم يجاوز العقد الخامس إلا بأعوام قلائل

الكتب

وادى النطرون

وتاريخ الأديرة البحرية

للأمير عمر طوسون

للأستاذ محمد بك كرد على

وضع الأمير تآليفه لخدمة مصر والسودان ، فهى الآن تملأ قمطراً جميلا من قماطر التاريخ والاجتماع والاقتصاد والمالية وغيرها . ومنها ما كتبه بالفرنسية (١) كمذكراته فى فروع النيل فى القديم وعلى العهد العربى (مجلدان) ، و (٢) مذكرات فى مالية مصر منذ عهد الفراعنة إلى أيامنا هذه (مجلد واحد) ، و (٣) مذكرات فى تاريخ النيل (ثلاثة مجلدات) ، و (٤) كتاب فى جغرافية مصر فى عهد العرب (مجلد واحد) ، و (٥) عاقبة أمر المماليك ، و (٦) بحث فى وادى النطرون ورهبانه وأدياره وغير ذلك . ومن تآليفه بالعربية (٧) كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن (مجلد ضخم) ، و (٨) بطولة الأورطة السودانية المصرية فى حرب المكسيك ، و (٩) الصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية فى عهد محمد على باشا ، و (١٠) الجيش المصرى ، و (١١) البحرية المصرية ، و (١٢) كتاب البعثات العلمية فى عهدى عباس الأول وسعيد ، و (١٣) يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ ؛ وغير ذلك من أبحاثه ومقالاته بالعربية والفرنسية مما ينشره فى الصحف والمجلات بالمناسبات

وآخر ما صدر من قلم الأمير بالعربية (١٤) « وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة » مذيلا بكتاب « تاريخ الأديرة البحرية » ، و (١٥) كتاب للباحث المطالع « المحزون » فى « ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الانجليزية » (طبعة ثالثة) طبع على نفقة دائرة سمو الأمير فى مطبعة السفير باسكندرية ، وقد قدم الأمير كتاب وادى النطرون إلى صاحب الغبطة الانبا يؤانس (بابا وبطريرك الكرازة المرقسية الثالث عشر بعد المائة) ودل المؤلف فيه على كثرة بحثه ودرسه وأنه خادم أمين لمصر وسودانها ، فى جميع المظاهر النافعة ، وأنه حسنة من حسنات مصر الحديثة ، ما أحرز شهرته المالية إلا من طريق العلم والعمل والاخلاص لمصر خاصة ، والمسلمين فى الأرض عامة . فجزاه الله عن العلم أفضل ما يجازى من أخلصوا فى خدمته ، ونفع بثمرات اجتهاده مصر والمصريين

***

من أفلاطون الى ابن سينا

للأستاذ جميل صليبا

نشر مكتب النشر العربى بدمشق ست محاضرات فى تلخيص فلسفة أفلاطون والفلسفة العربية وفى الفارابى والجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون وأرسطو ، وفى جمهورية أفلاطون والمدينة الفاضلة ، وفى نظرية الفيض Emanation عند ابن سينا ، أو صدور الموجودات عن الخالق ، وفى نظرية النفس عند ابن سينا ، وفى نظرية ابن سينا فى السعادة . قال المؤلف : إذا درسنا فلسفة ابن سينا رأينا أنها تختلف عن فلسفة أرسطو فى كثير من المسائل ، كفكرة الفيض ، وفكرة خلود النفس وغيرهما ، وأن ابن سينا متفق مع أرسطو فى الطرائق والوسائل ، ويختلف عنه فى الغايات والمقاصد ، ولعله لم يبتعد عن أرسطو فى بعض المسائل إلا لتأثره بالوسط الاجتماعى ، ورغبته كالفارابى فى الجمع بين الدين والفلسفة ، فقد كان الفارابى يعتقد أن الفلسفة واحدة ، وأن مقاصدها الحقيقية لا تختلف عن مقاصد الدين . وكان ابن سينا يرى كابن الطفيل أن النبوة حالة طبيعية من أحوال النفس ، لا فرق بين الدين والفلسفة إلا من حيث الظاهر . وقال إن الجمع بين الدين والفلسفة كان من أكبر العوامل التى حدت بالفارابى وابن سينا أن يعرضا أحياناً عن أرسطو ويتبعا أفلاطون ، وقد سارا فى ذلك على طريقة فلاسفة الاسكندرية ؛ ووجدا فى ترجمة كتب أفلاطون خير معين على ذلك . وقد بسط صاحب هذه المحاضرات هذه المباحث بسطاً يقربه من الأذهان معتمداً على مصادر عربية وغربية ، فالشكر لعنايته وأدبه

كتاب محاسن أصفهان

تأليف مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الأصفهاني

وبليه رسالة الارشاد فى أحوال الصاحب الكافى اسمعيل بن عباد

صاحب كتاب محاسن اصفهان من علماء القرن الخامس للهجرة ، فارسى اصفهانى استعمل السجع فى كلامه حتى كادت تضيع المعانى ، وكتب كتابه على بلده كتابة مبالغة وتمدح ، وفيه فوائد لمن تهمه أحوال تلك الديار فى تلك العصور . ومما نقله المؤلف كتاب للحجاج . قيل إنه كتبه لوهزاذين يزداذ بن الأنبارى ، وكان قريباً لكاتبه المجوسى الاصفهانى جاء فيه : أما بعد فانى استعملتك على اصفهان ، أوسع الأرض رقعة وعملاً ، وأكثرها خراجاً وأزكاها أرضاً ، حشيشها الزعفران والورد ، وجبلها الفضة والكحل ، وأشجارها الجوز واللوز والجلوز وما أشبهها ، والتين والزيتون والكروم الكريمة ، والفواكه العذبة ، وطيورها عوامل العسل . وماؤها الفرات ، وخيلها الماذيانات الجياد . . . فايم الله لتبعثن إلىّ بخراج اصفهان كلها أو لأجعلنك طوابيق على باب مدينتها ، فاختر أوفق الأمرين لك ، فقد عظمت جنايتك علىّ وأسأت الى نفسك . . . » وساق المؤلف حديث « لو كان الايمان يناط بالثريا لتناوله رجال من الفرس أو قال من هؤلاء » . وذكر فى جملة فلاسفتها ومهندسيها ومنجميها وأطبائها جماعة من اليهود منهم : يوسف اليهودى ، ويعقوب اليهودى ، والفرج بن سهل اليهودى ، الى غيرهم من المسلمين والمجوس ؛ وذكر فى شعرائهم طائفة من الشعراء بالعربية وأخرى من شعراء الفارسية ، وكذلك من كتاب تلك العاصمة على اختلاف لغتهم

وذكر المؤلف مافى داخل أصفهان من الدور السرية وأن منها ما يصلح لأمير كبير ، وأن فى أسواقها طرائف بغداد ، وخزوز الكوفة ، وديباج الروم وتُستر ، وبزّ مصر وقباطيّها ، وجواهر البحرين ، وآبنوس عُمان ، ونوادر الصين ، وفراء خراسان ، وخشب طبرستان ، وأكسية آذربيجان وأصوافها ، وفرش إرمنية ، وما يقاربها من الظروف والأوانى والفرش والأمتعة والأثاث والعقاقير والأدوية والأخلاط والأبازير التى مساقطها من البلدان المتطارحة والأوطان المتنازحة ، ووصف جوامع أصفهان ومنها جامع الخصيب بن مسلم لا يصلى فيه فى الصلوات الخمس أقل من خمسة آلاف رجل « وتحت كل اسطوانة منه شيخ مستند ينتابه جماعة من أهلها بوظيفة درس ، أو رياضة نفس ، تزيد بمناظرة الفقهاء ، ومطارحة العلماء ، ومجادلة المتكلمين ، ومناصحة الواعظين ، ومحاورات المتصوفين ، وإشارات العارفين ، وملازمة المتكفين ، إلى ما يتصل به وينضم إليه من خانكاهات قوراء مرتفعة ، وخانات عامرة متسعة ، قد وقفت لأبناء السبيل من الغرباء والمساكين والفقراء ، وبحذائه دار الكتب وحجرها وخزائنها اللواتى قد بناهن الأستاذ الرئيس أبو العباس أحمد الضبى ونضد فيها من الكتب عيوناً ، وخلدها من العلوم فنوناً . ويشتمل فهرستها على ثلاثة مجلدات كبيرة من المصنفات فى أسرار التفاسير وغرائب الأحاديث ، ومن المؤلفات فى النحو واللغة والتصريف والأبنية ، ومن المدونات من غرر الأشعار ، وعيون الأخبار ، ومن الملتقطات من سنن الأنبياء والخلفاء ، وسير الملوك والأمراء ، ومن المجموعات من علوم الأوائل من المنطقيات والرياضيات والطبيعيات والآلهيات ، وبذلك أدركنا أن الجامع الأعظم ودار الكتب فى أصفهان هما من انشاء العرب أيضاً

وفى الكتاب شعر كثير ، ومسائل أقرب الى أن تعد فى باب الأساطير والخرافات منها الى أن تعد فى التاريخ والأدب . وما كتاب محاسن اصفهان إلا صورة صحيحة من تأليف الفرس فى ذلك العصر ، والمؤلف نفسه كثير المادة من الألفاظ ، ضعيف فى السبك ، تقرأ العجمة فى كل سطرين من كلامه . وقد طبع الكتاب فى طهران الأستاذ السيد جلال الدين الحسينى الطهرانى عن نسخة الميرزا جسنخان وثوق الدولة أحد زعماء السياسة فى إيران ، كتبت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، وقدم له مقدمة عربية وختمها بقوله : « وإنى مع قلة بضاعتى فى الفنون الأدبية ، وكثرة اشتغالى بالعلوم الرياضية والفلكية ، أرجو من مطالعى هذا الكتاب العفو عن زلتى فى تصحيح بعض مواقعه » وقد وضع للكتابين فهارس الأعلام والأماكن والقبائل وطبعته « مكتبة الاقبال » فى عاصمة ايران . أما رسالة الارشاد فهى فى مدح الصاحب بن عباد الوزير الكاتب المشهور تأليف أبى القاسم أحمد بن محمد الحسنى الحسينى القوبائى الاصبهانى من علماء القرن الثالث عشر من الهجرة . فللناشر أطيب الشكر على عنايته

محمد كرد على